سلسلة السلوك والتزكية
2

أنت تسأل والقرآن يجيب

تعليم ذاتي يبين كيف أجاب القرآن الكريم
على الأسئلة الوجودية

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

أنت تسأل..
والقرآن يجيب

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز اصول
سلسلة السلوك والتزكية ٢: أنت تسأل والقرآن يجيب. / مركز اصول - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١١٨ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٧٣٦١
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-٢٩-٤

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١]، **والصلاة والسلام على من أوحى إليه تعالى بقوله:** ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ١٠]، **وعلى آله وأصحابه أجمعين.**

وبعد:

إنّ مما لا شك فيه، أنّ حياة الإنسان مليئة بالتساؤلات منذ طفولته وحتى اكتمال نضجه، ومن بين هذه التساؤلات أسئلةٌ خاصةٌ لا تكفّ عن الإلحاح بحثًا عن إجاباتها، حتى في أكثر اللحظات صفاء وسكينة.

إنها الأسئلة الوجودية التي قد يصل الإلحاح بها في بعض الأحيان إلى أن توقع النفس الإنسانية في الحيرة والشكوك، ولربما تحرف الإنسان في فكره وسلوكه ؛ ومن هنا يظهر تفرد القرآن الكريم، في قدرته على الإجابة على تلك الأسئلة.

يأتي الكتاب الذي بين أيدينا ليقرر مشروعية تلك الأسئلة، وكيف أجاب عنها القرآن، فيبين أولاً كيف عرَّف القرآن بنفسه، وكيف أجاب عن الأسئلة الوجودية الكبرى، وكيف عالج السلوكيات الخاطئة بخطابه الأخلاقي، وليُعَرِّف بمنهجه في الرد على المخالفين، ويبين حجية القرآن الكريم كمصدر تشريعي معجز شامل صالح لكل زمان ومكان، فهو الكتاب الخالد الذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، وهو: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١]. ثم يمر الكتاب ليتحدث عن موضوعات القرآن الكريم الكبرى، وكيف نفهم القرآن ونتعامل معه، لينتهي بنا المطاف إلى القول بأنه دستور حياة يدل على أنّ الله تعالى لم يخلق الإنسان في هذه الدنيا سدى، بل جعل له كتابًا مرشدًا أودع فيه خطابه الكامل ليهديه في سيره في هذه الحياة، فعرفه على ربه وعلى نفسه، وعلى وظيفته ومهمته على الأرض، ووضع له قوانين تضمن ممارسته لتلك الوظيفة على أتم وجه ليكون من المهتدين.

فنسأل الله سبحانه وتعالى خلال الرحلة في هذا الكتاب أن يُرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويُرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

محتويات الكتاب

المحور الأول

لمحة تعريفية بالقرآن الكريم

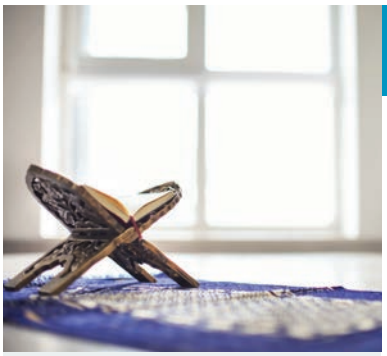

تمهيد ١٠

القرآن يعرّف بنفسه ١٢

القرآن يعرّف بمصدره ١٦

موضوعات القرآن الكريم الرئيسة ٢٦

كيف نفهم القرآن ٣٠

التقويم ٣٤

المحور الثاني

إجابات القرآن عن الأسئلة الوجودية

القرآن يعرّف بالله عز وجل ٣٨

القرآن يجيب عن سبب الابتلاءات في الدنيا ٤٤

القرآن يجيب عن حكمة خلق الإنسان ٤٦

التقويم ٥٢

المحور الثالث

إبطال القرآن لكبرى المقولات الخاطئة

الله الواحد	٥٦
القرآن والأسئلة الوجودية	٦٦
التقويم	٧٠

المحور الرابع

القرآن مصدر للتشريع ومعرفة الأحكام

تمهيد	٧٤
القرآن يعرف بتشريعاته	٧٦
مصادر التشريع المختلف فيها	٨٦
التقويم	٩٢

المحور الخامس

القرآن والأخلاق

تمهيد	٩٦
القرآن مصدر الأخلاق في الإسلام	٩٨
الخطاب الأخلاقي في القرآن للفرد المسلم	١٠٠
الخطاب الأخلاقي في القرآن للأسرة المسلمة	١٠٢
الخطاب الأخلاقي في القرآن للمجتمع المسلم	١٠٤
الخطاب الأخلاقي في القرآن للدولة المسلمة	١٠٦
خطاب القرآن في تنظيم العلاقة الأخلاقية	١١٠
التقويم	١١٢

لمحة تعريفية بالقرآن الكريم

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح مفهوم القرآن الكريم .
- يشرح الفرق بين القرآن وبين الحديث النبوي والحديث القدسي .
- يبين أن القرآن من عند الله تعالى .
- يعلل نزول القرآن على العرب أولاً وبالعربية .
- يعلل اختيار محمد ﷺ لينزل عليه القرآن .
- يشرح شرط الانتفاع بالقرآن الكريم .

تمهيد

إن الإنسان إذا وصلته رسالة إلى بريده الخاص يسارع إلى قراءتها يدفعه الفضول ليعلم من أرسلها وما محتواها، ثم إذا تبين له أن من أرسلها له هو ملك البلاد استجمع كل مداركه وأحاسيسه وقرأها بتمعن وتدبر، لأن الرسالة اكتسبت أهمية كبيرة نظرًا لأهمية المرسِل، وهذا أقل ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم عند قِراءة القرآن، لأن مصدره الخالق عز وجل، فالقرآن رسالة:

المرسِل	الله جل في علاه ..
حامل الرسالة	رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .
المرسَل إليه	الإنس والجن إلى قيام الساعة .
المكان	أم القرى.. مكة وما حولها..
الزمان	القرن السابع الميلادي.. القرن النموذجي للظروف السيئة التي تسقط فيها الإنسانية .. زمن الجاهلية.
المناسبة	فرصة البشرية الأخيرة لتغيير ذلك كله..
الغاية	هداية الخلق.

القرآن يعرّف بنفسه

عادةً ما يتم التعريف بالقرآن الكريم وتحديد مفهومه من خلال تعريف العلماء به، وهو أمرٌ لا غنى عنه، ولكن لنفسح المجال للقرآن ليعرِّف بنفسه ابتداءً.. بكلماته وحروفه.

اقرأ الآيات الآتية بتمعن وتدبر:

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان:١]

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]

وقال أيضًا: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]

- **ماذا** تفهم من الآيات السابقة؟
- **بماذا** وصف الله تعالى القرآن؟
- **ما** العلاقة بين الفرقان والروح والنور؟

يخبرنا القرآن عن نفسه بكونه الضوء الذي يهدي الأمم من الظلمة إلى النور، وينفخ فيها روح العقيدة الصافية والقيم السامية ويفرق بين الحق والباطل ويهدي للطريق الأقوم.

نشاط

- ابحث عن ثلاثة أسماء أخرى للقرآن الكريم، كما وردت في القرآن والسنة وركب منها معنى جديداً متكاملاً .

بإمكانك الاستعانة بمحركات البحث على الشبكة الإلكترونية أو بكتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام السيوطي.

- إلامَ تشير الأسماء العديدة للقرآن الكريم برأيك؟

هذا ما يحدثنا به القرآن عن نفسه .. فماذا لو أردنا أن نسأل غيره ليعرفنا به فإلى من نتجه؟

سيجيبنا القرآن حينئذ ليقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣]

فماذا يخبرنا أهل الذكر .. أهل العلم .. عن القرآن؟

سيقولون لنا إنّ القرآن هو :

كلام الله تعالى المعجز	المنزّل على النبي ﷺ	المنقول عنه بالتواتر	المتعبّد بتلاوته
خرج بهذا القيد : كلام سيدنا محمد عموماً والأحاديث النبوية القدسية خصوصاً التي هي لفظها من عند النبي ﷺ ومعناها من الله تعالى .	**خرج به:** ما نزل على الأنبياء السابقين .	**التواتر:** هو ما رواه جمع عن جمع إلى رسول الله بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب.	**وهو** قيد يخرج عموم الأحاديث النبوية والكتب السماوية .

ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث الشريف والحديث القدسي

مجال المقارنة	القرآن	الحديث القدسي	الحديث النبوي الشريف
اللفظ	من عند الله	من عند النبي ﷺ	من عند النبي ﷺ
المعنى	من عند الله	من عند الله	من عند النبي ﷺ
متعبَّد بقراءته	✔	✖	✖
مُعْجِز	✔	✖	✖
متواتر	✔	بعضه متواتر ، والبعض الآخر آحاد.	بعضه متواتر ، والبعض الآخر آحاد.

القرآن يعرّف بمصدره

اقرأ معي الآيات الآتية التي يبين فيها القرآن مصدره: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **ما** مصدر القرآن الكريم؟
- **بواسطة** من أنزل القرآن على النبي ﷺ؟

يعرف القرآن عن مصدره بأنه من الله رب العالمين، أنزله على قلب محمد ﷺ بواسطة الملك جبريل باللغة العربية، ومن سأل دليلاً على صحة نسبته إلى الله سبحانه يجيبه القرآن بقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨]

- **ماذا** تفهم من هاتين الآيتين؟
- **كيف** استدلت الآيتان على إعجاز القرآن وصحة نسبته لله تعالى؟

يقول القرآن: لو لم يكن مصدري من الله تعالى لاستطعتم أن تأتوا بمثلي فإن فعلتم ثبت صدق دعواكم، وإن عجزتم فأقروا إذاً أني من عند الله العزيز العليم.

هكذا أجاب القرآن على هذا السؤال، جواباً مختصراً يترك المتسائل عاجزاً عن الكلام .. تماماً كما ترك قبل أكثر من ألفٍ

وأربعمئة عام رجلاً من المشككين بالقرآن اسمه " عتبة بن ربيعة" فلنفسح المجال لعتبة ليروي لنا قصته (سيرة ابن هشام ص٢٩٣):

قال عتبة يوماً: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة عم النبي، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطة (الشرف) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ... فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد، أسمع.

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً -يقصد التابع من الجن- تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوَى منه ، أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال: نعم.

قال: فاسمع مني.

قال: أفعل.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت: ١-٥] ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه.

فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد.

ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قـال: ورائـي أنـي قـد سـمعت قـولاً والله مـا سـمعت مثلـه قـط، والله مـا هـو بالشـعر، ولا بالسـحر، ولا بالكهانـة، يـا معشـر قريـش، أطيعونـي واجعلوهـا بـي، وخَلُّـوا بيـن هـذا الرجـل وبيـن مـا هـو فيـه فاعتزلـوه، فـوالله ليكونـن لقولـه الـذي سـمعت منـه نبـأ عظيـم، فـإن تصبـه العـرب فقـد كفيتمـوه بغيركـم، وإن يظهـر علـى العـرب فملكـه ملككـم، وعـزه عزكـم، وكنتـم أسـعد النـاس بـه.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

قـال: هـذا رأيـي فيـه، فاصنعـوا مـا بـدا لكـم.

مـاذا تفهم من هذه القصة؟

مـاذا عـرض أبـو الوليـد علـى النبـي ﷺ مقابـل تـرك الدعـوة إلـى دينـه؟

علـى مـاذا يـدل عجـز عتبـة عـن مجـاراة القـرآن فـي بلاغتـه وفصاحتـه؟

لمـاذا سـمَّى عتبـة مـا سـمعه مـن القـرآن بالنبـأ العظيـم؟ عـلام يـدل ذلـك؟

إن قصـة عتبـة مـع قومـه وهـم أهـل البلاغـة والفصاحـة دليـل علـى كمـال القـرآن، فقـد عـاد عتبـة مـع حرصـه علـى نقـض القـرآن صفـر اليديـن، لـم يسـتطع فهـم سـر نظـم القـرآن الذي سـمعه، ولا مجاراته، فقد كان فوق طاقة البشـر، فالقرآن لا يشـبه الشـعر ولا السـحر ولا الكهانـة، وهـذا مـا كانـت العـرب تعرفـه، لكـن القـرآن خـارج عـن حـدود هـذه المعرفـة، وهـذه القصـة تمثـل المفتـاح المناسـب للدخـول إلـى الملامـح الإعجازيـة التـي تفـوَّق بهـا القـرآن الكريـم علـى الـكلام البشـري.

فاسـتعمال القـرآن للمفـردة فـي مكانهـا الأنسـب بحيـث لـو اسـتبدلت بكلمـة أخـرى لأعطـت معنـى أقـل إحاطـة بالمقصـود وأقـل بلاغـة، ضمـن نسـق فريـد وتركيـب عجيـب مدهـش، فهـذا الكمـال فـي الاسـتعمال هـو الإعجـاز اللغـوي للقـرآن الكريـم الـذي أبهـر عتبـة وجعلـه حائـراً بمـاذا يجيـب، بـل أبهـر وأعجـز كل العـرب.

ومعجـزات القـرآن تعـدت الإعجـاز اللغـوي الـذي أبهـر فصحـاء العـرب لتشـكل أوجهـاً متعددة ؛ كالإعجاز في أخباره الغيبية السـابقة واللاحقة، وكالإعجاز في تشـريعاته وأحكامه، وكالإعجـاز فـي إشـاراته العلميـة، إلـى غيـر ذلـك مـن الأوجـه، لكـن معجـزة القـرآن الكبـرى تتمثـل فـي التغييـر الـذي قلـب حـال العـرب مـن مجـرد قبائـل وعشـائر حائـرة متناحـرة تعيـش تحـت رحمـة الأمـم الأخـرى إلـى أمـة موحـدة عظيمـة غيـرت مسـار التاريـخ، وحـررت أمماً وشـعوباً أخـرى بلغـت نصـف العالـم القديـم وفـي مـدة قياسـية لا تتعـدى ثلاثـة عقـود وصنعـت حضـارة عالميـة رشـيدة.

هـذه المعجـزة تشـبه معجـزة إحيـاء الموتـى، لأنهـا تمثـل المـاء الـذي أصـاب صحـراء قاحلـة لا يتوقـع منهـا شـيء

فأنبتت، ولم يحدث أن حصلت قفزة حضارية من لا شيء كما حصلت في المعجزة القرآنية.

ربما ستسأل بعد هذا: لماذا نزلت الرسالة في العرب؟

ولن يكون الجواب صعباً حينها، لأن معجزة القرآن في بناء الحضارة لم تكن لتظهر لو نزل القرآن في بيئة فارسية أو رومانية، فهم كانوا على درجة عالية من القوة وبمدنية متفوقة في عصرهم، وهو ما حدث مع المسيحية بالفعل، حين دخلت مجتمعاً متميزاً بحضارة وجاءت بقيم أعلى وأكثر رقياً.

لكن القرآن جاء إلى مجتمع يعيش على هامش الحضارة، وهنا تكمن المعجزة، فمجتمع العرب كان الميدان الأكثر خصوبة ليثبت القرآن إعجازه وقدرته على إحداث التغيير والتحول.

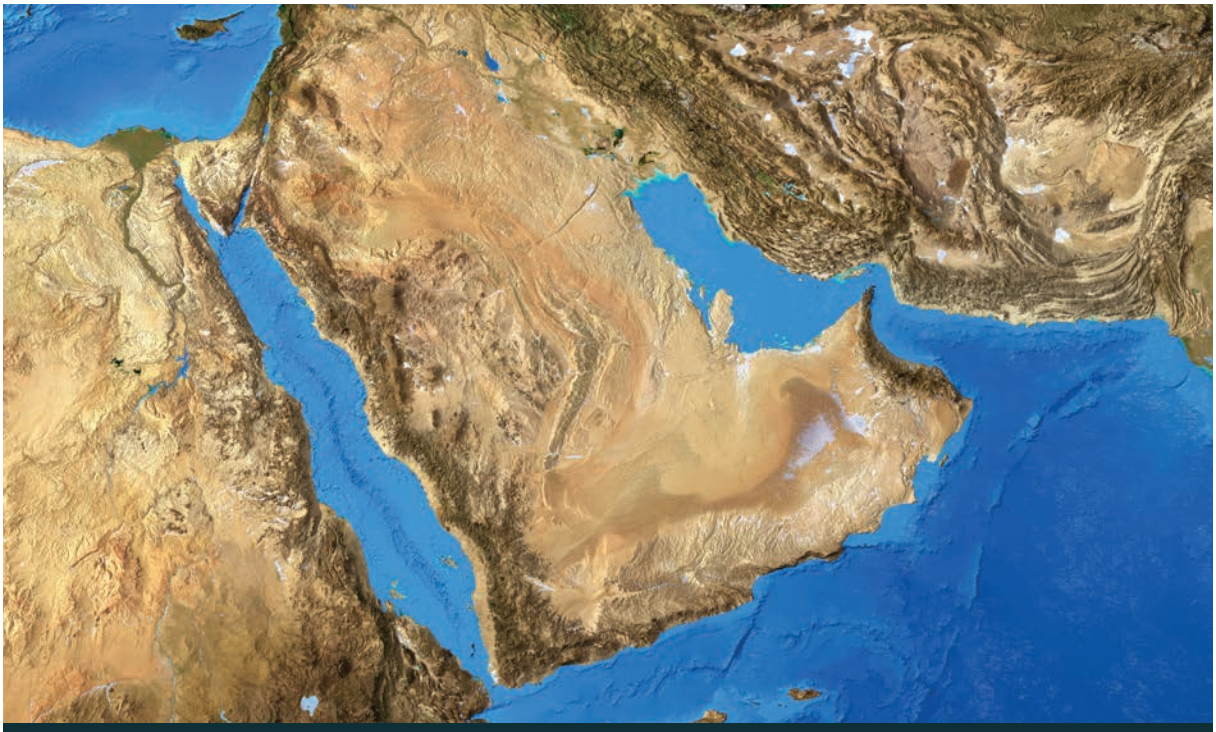

لم يكن اختيار العرب لإنزال القرآن إليهم من قبل الله تعالى انطلاقاً من سبب عرقي أو جغرافي، وإنما كان اختياراً توافرت فيه جميع الشروط المناسبة لإثبات معجزته في بيئة محدودة الإمكانيات وأقل ما يقال فيها إنها صحراء، إضافة لما علمه سبحانه وتعالى من صفات فيهم تؤهلهم لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة.

أما لماذا نزل باللغة العربية فيجيب القرآن عن هذا التساؤل بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ (إبراهيم: ٤) فأبسط جواب هو أنها لغة العرب وهي وسيلة التفاهم مع القوم الذين أرسل إليهم الرسول، ومع ذلك فاللغة تحمل من الخصائص والمميزات ما لا يوجد في لغة أخرى، يقول الكاتب (إرنست رينان) في كتاب (تاريخ اللغات السامية) في وصف اللغة العربية: من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرُّحَّل، تلك اللغة التي فاقت إخوتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم أن علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة.. (مجلة الأزهر مجلد ٣ ص ٢٤٠)، فهي لغة مناسبة لتكتنز معاني القرآن الكريم.

خلاصة

وقد يراودك سؤال هنا: هل هذا يعني أن القرآن العربي للعرب فقط؟ وإذا كانت تلك القفزة الحضارية لم تحدث لا في قديم التاريخ ولا في حديثه إلا مرة واحدة فهل هذا يعني أنها لن تتكرر مع أشخاص أو أمم أخرى؟

يجيب القرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠]

- اقرأ الآية بتدبر فماذا تفهم منها؟
- هل تقتصر الذكرى على العرب؟ أم تشمل العرب وغيرهم؟
- كيف تستنتج من الآية أن إعجاز القرآن متجدد؟

إن كون القرآن منزل للعالمين يعني أنه وإن كان نزل على العرب بداية فغير حالهم إلى الأفضل والأرقى، فإن معجزته مستمرة في كل الأزمان ولكل الأقوام، ولا يزال القرآن قادرًا على تغيير البشرية للأفضل، بخلاف كل المعجزات السابقة في الأديان الأخرى حيث لم يعد لها أي تأثير.

وقد تسألني: لماذا لم يتغير كل الناس بسماعهم للقرآن؟

يجيبك القرآن أيضاً: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٤]

إنّه يقولها صراحة دون تورية: إن شرط الاستفادة من القرآن وآياته ومعجزته أن تكون ممن يعقل، والعاقل يترك التكبر والتقليد الأعمى واتباع الهوى ويحكّم عقله فيما يقرأه ويسمعه، وليست اللغة التي هي وعاء هذا الكتاب هي المعوّل عليها هنا، بل ما كنزته تلك اللغة من معانٍ لآيات ودلائل لا سبيل لدركها سوى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

نشاط إثرائي

١. في القرآن آيات كثيرة تدل على أن شرط الاستفادة من القرآن متعلق بإعمال العقل والتفكر وإلقاء السمع . اجمع تلك الآيات واقرأ في تفسيرها.

٢. في القرآن الكريم آيات تدل على أن هناك أناسًا لا ينتفعون من آيات القرآن الكريم لصفات فيهم، اجمع تلك الآيات وحاول أن تستخلص تلك الصفات.

٣. ابحث في أدلة أخرى تؤكد على ربانية مصدر القرآن الكريم.

ولو سألت لماذا أنزل الله تعالى القرآن على محمد بن عبد الله واختاره من بين العرب ليحمل شرف هذه المهمة، وقد كانت العرب ترى -حين جهلت قدر محمد- من هو أكبر منه سناً وأعظم قدراً وأعلى منه شأناً على حد تعبير العرب ذاتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١].

اقرأ الآية بتدبر وتمعن، ما صفة الرجل الذي ترى قريش أنه أهلٌ لنزول القرآن عليه؟

لماذا اعترض العرب على نزول القرآن على محمد ﷺ؟

حاول أن ترد عليهم وتجيب على تساؤلهم واعتراضهم .

اعترضت قريش وتساءلت : كيف ينزل القرآن على فتى يتيم فقير، وفي العرب من هو أحق منه في حمل هذا الشرف؟ ولكن القرآن سرعان ما أجابهم في الآية التي تلي ذكر اعتراضهم وتساؤلهم، فقال سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢]

اقرأ الآية جيداً، فماذا تفهم منها؟

كيف أجاب القرآن على اعتراضهم؟

من الذي قسم الأرزاق بين الناس وجعل بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً؟ وما الحكمة من ذلك؟

إن تقسيم الأرزاق والرحمة والعطايا إنما هو لله سبحانه وتعالى الذي خلقهم فلا يحق

لهم الاعتراض على شي من قسمته، والله سبحانه لا يفاضل بين عبادة بكثرة المال والمناصب، ولكن يفاضل بينهم بما اكتسبوا من أخلاق حميدة وأعمال صالحة، وقد بلغ النبي ﷺ أعلى مرتبة في الأخلاق من قبل النبوة، وكانت أعماله الصالحة مضرب مثل للناس في الأمانة وإعانة الضعيف ونصرة المظلوم وإغاثة المكروب فاختاره الله تعالى لرسالته -القرآن- وتبليغها، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] ، فالأخلاق أهم صفة في حامل رسالة القرآن للناس.

وأنت ترى كيف أجاب القرآن على هذا السؤال، كأنه سبحانه يقرر للناس قاعدة فيقول لهم: أيها الناس إن أعظمكم هو محمد بن عبد الله لأن مقياس العظمة هو الأخلاق والأعمال الصالحة النافعة للخلق وقد فاقكم محمد بذلك.

ناقش

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]

- ***هل ترى في هذه الآية جواباً آخر على اعتراض العرب على نزول القرآن على محمد ﷺ؟ ما هو؟***
- ***لماذا لم تؤمن العرب بداية وخاصة سادة قريش بالقرآن وبمحمد ﷺ؟***

نتيجة

- **إن الحسد** من أحد أسباب كفر قريش بمحمد ﷺ وبالقرآن الذي أنزل عليه، فقد ظنوا -جهلاً منهم- أنهم إن أقروا بنبوته تفاخر عليهم بها هو وعائلته، فامتلأت قلوبهم حسداً دفعهم إلى هذا الكفر وهذا الإنكار.
- **الحسد والكبر واتباع الهوى** أحد أهم الأسباب المانعة لقبول الحق والانتفاع بالقرآن الكريم.

ناقش

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ [الفرقان: ٣٢]

- **بماذا اعترض الكافرون في مسألة نزول القرآن؟**
- **كم سنة دام نزول القرآن؟**
- **علل نزوله مفرقاً وعدم نزوله دفعة واحدة .**

الخلاصة

نزل القُرآن الكريم على قلب النبيّ -عليه الصلاة والسلام- مُفرّقاً حسب الوقائع والأحداث على مدار عمر الدعوة، وقد أنزله الله مُفرّقاً لحكَم كثيرة، منها تثبيت قلب النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؛ بتكرار نزول الوحي عليه، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ (الفرقان: ٣٢).

نشاط

اكتب بحثاً تجمع فيه الحكمة من نزول القرآن مفرقاً على النبي ﷺ، وشاركه مع زملائك .

بإمكانك الاستعانة بكتب علوم القرآن ككتاب الاتقان للسيوطي وكتب التفسير.

موضوعات القرآن الكريم الرئيسة

قد يأتي هنا سؤال يتبادر إلى ذهنك حول القرآن وهو: عن ماذا يتكلم القرآن الكريم حتى تكون له هذه الأهمية في انتشال الأفراد والأمم من التخلف إلى التقدم ومن الظلمات إلى النور؟

يجيب القرآن عن هذا التساؤل أيضًا بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨] وبقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩]

- **ماذا** تفهم من الآيتين السابقتين؟
- **ماذا** يحوي الكتاب وفق ما ورد في الآية الأولى؟
- **ما** موضوع القرآن وغايته الرئيسة وفق ما ورد في الآية الثانية؟

يجيب القرآن: إن موضوعاتي غايتها وهدفها هداية الإنسان، لذلك تشمل مواضيعي جميع حاجاته في سيره في الأرض من حيث نقطة الانطلاق مرورًا بضبط الحركة والعمل وتحديد الوجهة وكيف يتعامل مع العقبات في طريقه.

وهذه الحاجات في جملتها يمكن إرجاعها إلى ثلاث وحدات رئيسة يندرج تحتها كل ما يلزم الإنسان لتحقيق عبوديته لله على هذه الأرض وضمان حياة طيبة له.

اقرأ معي بتدبر وتأمل الآيات الآتية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ

ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤]

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦]

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
[الجاثية: ١٨]

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **ما** موضوع الآية الأولى؟
- **بماذا** أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في الآية الثانية؟
- **على** ماذا تدل كلمة شريعة الواردة في الآية الثالثة؟
- **عن** ماذا تتكلم الآية الرابعة؟

نشاط إثرائي

ارسم جدولًا وضع فيه عمودًا لموضوع من موضوعات القرآن ثم ضع في العمود الذي يجاوره مثال عليه من القرآن الكريم.. حاول أن تدون أكثر من موضوع واستعن بكتب التفسير لمساعدتك.

مـن تأمـل آيـات القـرآن الكريـم وجدهـا تتمحـور حـول ثلاثـة مواضيـع رئيسـة:

أولهـا محـور العقيـدة: تكلـم فيـه عـن الخلـق ليسـتدل بـه علـى الله الخالـق ووحدانيتـه، ثـم دعـا إلـى الإيمـان بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليـوم الآخـر، وكل مـا يتعلـق بهـا مـن قصـص الأنبيـاء والترغيـب والترهيـب وذكـر الجنـة والنـار.

المحـور الثانـي: محـور التشـريع: فذكـر الفرائـض التـي فرضهـا الله علـى عبـاده، والمحرمـات التـي نهاهـم عنهـا، وشـرع مـا ينظـم حياتهـم مـن زواج وطـلاق ومعامـلات اجتماعيـة ومالية ومدنيـة، وسـن قوانين جزائية وعقوبـات علـى مـن يرتكـب الجنايـات أو يتجـاوز الحـدود ويرتكـب المنهيـات.

المحـور الثالـث: محـور الأخـلاق القائـم علـى تزكيـة النفـس والرقـي بهـا، فأمـر بالتحلـي بالأخـلاق الفاضلـة ونهـى عـن الأخـلاق الدنيئـة.

وعالـج القـرآن الكريـم تلـك القضايـا بطريقـة فريـدة حيـث دمـج بيـن التشـريع والعقائـد والأخـلاق وربـط فيمـا بينهـا، وضمنهـا فـي القصـص القرآنـي فـي غالـب الأحيـان، وخاطـب العقـل والمنطـق مـع القلـب والشـعور، ليكـون ذلـك كلـه أدعـى للاقتنـاع والامتثـال.

وسـلك القـرآن فـي عـرض مواضيعـه أسـاليب متعـددة ومختلفـة، فتـارة سـلك سـبيل التفصيـل، كمـا فـي بـاب العقائـد، وتـارة سـلك سـبيل الإجمـال كمـا فـي عـرض الأحـكام وتـرك التفصيـل لمصـادر أخـرى أعطاهـا صلاحيـة التشـريع سـنأتي علـى ذكرهـا بعـد قليـل إن شـاء الله تعالـى.

والرسم الآتي يذكر مواضيع القرآن الكريم الرئيسة ونماذج منها:

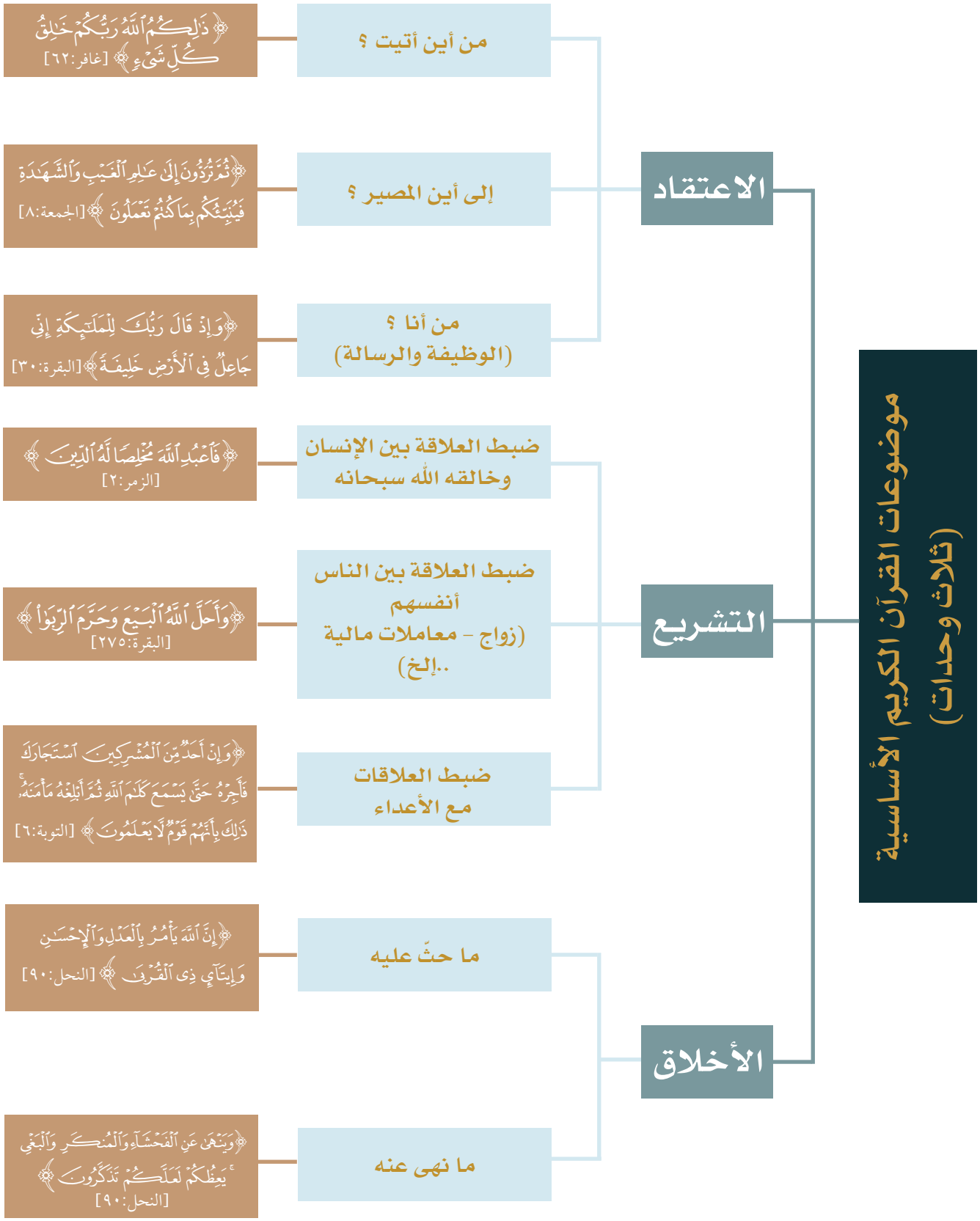

كيف نفهم القرآن

ويأتي سؤال آخر يتبادر إلى الذهن، كيف نفهم القرآن؟ وماذا لو قرأنا القرآن فلم نفهم مراده؟ إلى من نلجأ إن أردنا تفسير آيات القرآن ليسهل علينا فهمها؟

توضيح:

الآيات المتشابهة هي ما خفي معناها بنفس اللفظ وتحمل أكثر من تفسير

يجيب القرآن بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ٢]

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤]

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ [آل عمران: ٧]

وقال أيضا: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **بماذا** وصف الله سبحانه القرآن في الآية الأولى؟
- **لماذا** أمر الله تعالى بتدبر القرآن في الآية الثانية؟

في القرآن الكريم بحسب الآية الثالثة نوعان من الآيات ما هما؟ وهل كلاهما قابل للتفسير؟

ما الطريق الذي دلنا الله سبحانه عليه للوصول إلى العلم؟

إن القرآن يصف نفسه بأنه ميسَّر للفهم والحفظ فيقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧] قد سهل الله ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم؛ لأنه أحسن الكلام لفظًا، وأصدقه معنى، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، و"الذكر" شامل لكل ما يتذكر به الناس من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، والمواعظ والعِبَر، والعقائد، والقصص.

ومع كونه ميسراً في معظمه لفهم عامة الناس فإنه لا بد من توفر شرطين أساسيين:

أولهما: الإحاطة باللغة العربية التي نزل بها.

ثانيهما: العقل والتدبر والتفكر في آياته ليصل إلى الفهم السليم.

فأعظم ما يعين على فهم القرآن الكريم تعلم اللغة التي أنزل بها، وهي اللغة العربية، إذ بمعرفة أساليبها في التعبير يتوصل إلى فهم المقصود على وجهه الصحيح، فإن أمكن تعلم اللغة العربية، فذاك إنجاز كبير يؤجر عليه الإنسان، وإلا فقد اهتم المسلمون بترجمة معاني القرآن إلى اللغات المختلفة لتقريب فهمه، وترجموا كتب التفسير إلى لغات كثيرة، فإن أمكن الاطلاع على كتب تفسير القرآن التي ألفها علماء المسلمين، والتي تقوم على الأسس السليمة لتفسير القرآن لأعطى ذلك مزيد فهم لمراد القرآن الكريم.

وينبغي التنبه إلى مسألتين:

المسألة الأولى: الفهم العام للآية لا يضر معه الاختلاف في بعض التفاصيل؛ أي أنك قد تكون فاهماً الآية في الجملة، لكن لا تفهم معنى إحدى الكلمات فيها بالضبط، فهذا لا إشكال فيه، ويكفيك المعنى العام.

المسألة الثانية: أن في القرآن آيات متشابهة، وكلمات ليست واضحة المعاني وضوحاً جيداً تستطيع معه عامة الناس فهم المراد منها، فهنا يحيلنا القرآن إلى "أهل الذكر" لنسألهم، أي لا بد من اللجوء إلى العلماء الراسخين في العلم ليعطونا التفسير الصحيح.

مسائل في جمع القرآن وترتيبه وتلاوته:

الذي ينبغي أن نعلمه أن ترتيب آيات القرآن وسوره، وأسماء هذه السور "توقيفي"؛ بمعنى أنه ثابت بوحي من الله سبحانه وتعالى وبأمر من رسوله؛ فالرسول تلقَّاه من جبريل عليه السلام والصحابة تلقَّوه من الرسول ﷺ، وحصل الإجماع من عهد الصحابة ومن بعدهم على هذا الترتيب.

ويستحب للمسلم الذي يقرأ القرآن في الصلاة أن يرتب قراءته على ما في المصحف، فهذا هو الأفضل وهذا هو المشروع، وهذا فعل الصحابة والسلف، فإن خالف ذلك في ترتيب السور فقراءته صحيحة ولا إثم عليه، ولكنه خالف الأَوْلى والأفضل.

كما أن الأفضل والمستحب قراءة القرآن كله فلا يترك سورة دون قراءة -وهو المقصود بختم القرآن- حتى لا يكون هاجرًا له أو هاجرًا لشيء منه.

نشاط إثرائي

ارجع إلى كتب التفسير واقرأ في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠] **وابحث متى يكون المسلم هاجراً للقرآن.**

التقويم

١ ما معيار التفاضل عند الله تعالى؟

٢ ما الدليل على أن القرآن كلام الله؟

٣ صحح ما تحته خط:

أ. يبلغ عدد سور القرآن : ٦٠٤ سورة.

ب. الحديث النبوي الشريف كله متواتر.

ت. ضبط العلماء تعريف القرآن الكريم بثلاثة قيود.

ث. تعود الآية الكريمة : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ إلى مجال الأخلاق.

٤ اربط بين إجابات القرآن الآتية والأسئلة المناسبة لها:

إجابات القرآن	الأسئلة
١. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾	( ) من أين أتى الإنسان ؟
٢. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	( ) هل القرآن للعرب فقط ؟
٣. ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾	( ) لماذا نزل القرآن باللغة العربية؟
٤. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	( ) من يسأل الإنسان في أمور دينه ؟

إجابات القرآن
عن الأسئلة الوجودية

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يجيب عن الأسئلة الوجودية.
- يجيب عن ضرورة الإيمان بالله الواحد.
- يجيب عن سبب وجود الابتلاء والشرور والآلام في الدنيا.
- يُجيب عن وظيفة الإنسان في الأرض وعلاقتها بمفهومي " الجبر والاختيار " و" قضية الشر ".

القرآن يعرّف بالله ﷻ

الله الخالق

إن أول آية نزلت من القرآن الكريم على النبي ﷺ وهو في غار حراء كانت بمثابة رسالة استخدمت الوصف للتعريف بمرسلها، تدبر معي قول الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾ [العلق: ١ - ٤]

- ماذا تفهم من هذه الآيات؟
- ماذا يطلب الله تعالى من رسوله فيها؟
- كيف عرَّفت هذه الآيات بالله الذي أنزلها على نبيه؟
- ما الرابط بين القراءة والخَلق والعلم؟

لقد اختار الله سبحانه أن يعرّف نفسه إلى رسوله الجديد، ومن ثم إلى كل إنسان بصفة أولى أساسية وهي أنَّه الله الخالق، وقد اختار سبحانه هذه الصفة تحديداً من بين سائر صفاته الأخرى كالرحمة والقدرة لأنها مفتاح تفسير كل شيء سيأتي بعدها.

إثراء تخيلي

تخيّل لو أنّك أردت أن تتعاقد مع شركة لتقوم لك ببناء مجموعة سكنية في منطقة ما، ما أهم ما تتضمنه الأوراق التي ترسلها الشركات الراغبة في الحصول على ذلك العقد؟

- هل تكتفي مثلاً بقولها: إننا شركة بناء عظيمة جداً، ومتميزة كثيراً، ولدينا عدد من المهندسين لا يوجد مثلهم في البلاد؟ علل رأيك
- ماذا لو لم تقدم هذه الشركة قائمة بأهم منجزاتها هل كنت تثق بخبرتها؟ ولماذا؟

الخلاصة

صفة الخلق التي بدأ القرآن بها في التعريف بالله سبحانه هي الصفة الأكثر أهميّة وجدارة بأن تتصدر قائمة الصفات المعرّفة بالله سبحانه المنزل لهذا القرآن.

شبهات وإجابات قرآنية

وقد يسأل المشككون هنا : من قال إننا أصلاً خلقٌ لذلك الإله؟! من قال إن هناك إلهًا يخلق أصلاً؟!

ألا يمكن أن نكون وُجِدنا هنا منذ الأزل؟ أو أننا خُلِقنا صدفة!!

يجيبهم القرآن عن هذا التساؤل بقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ [الإنسان:١]

حاول تدبر معنى هذه الآية فماذا تفهم؟

أين كان الإنسان قبل أن يولد؟

يجيبهم القرآن سالكاً أسلوب الفرض والجدل فيقول: لنفترض أيها المتشكك أنك غير مخلوق وأنك موجود منذ الأزل فارجع إلى تاريخ حياتك فهل صادف أن كنت يوماً ما غير موجود في هذه الحياة، وهل مر عليك يوم ولدت فيه؟ سيقول نعم بلا شك، إذاً أين كنت قبل الولادة؟! لا يقبل العقل إلا أن يكون الجواب إنني وجدت بعد أن لم أكن موجودًا، إذًا فأنا مخلوق بلا شك.

فيعود هذا المشكك فيقول: أنا مخلوق لكن هذا لا يعني أنّ الله هو الخالق! ربما خُلِقت صدفة من غير خالق!!

فيأتي القرآن بجواب مفحم يسكت منطقه الذي انطلق منه، تفكر معي في قول الله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٦]

- ماذا تفهم من هذا النص؟
- كيف يمكن أن يُخْلَق شيء من لا شيء صدفة؟
- كيف للعقل أن يتصور أن يخلق الإنسان نفسه، وهو المخلوق أصلاً؟ كيف يكون مخلوقاً وخالقاً في الوقت ذاته؟

يقول القرآن في جوابه لهؤلاء: إذا كنتم مخلوقين وليس الله هو الخالق فالعقل يحصر سبب وجودكم في احتمالين لا ثالث لهما: أن يكون الإنسان مخلوقاً من لا شيء، أو أنه خَلَق نَفسَه.

والعقل ذاته يقول باستحالة هذين الاحتمالين، أما الأول فلأن العقل يقر أنه لا شيء يوجد من لا شيء بالبداهة .

وأما الثاني فلأن من مسلمات العقل أيضاً أنه لا يمكن أن يتوقف وجود الشيء على نفسه، فلا يمكن أن نقول إن الإنسان خلق نفسه، لأن نفسه كانت قبل الخلق عدَماً تحتاج إلى من يوجدها! فإن فرضية أن يكون (أ) خلق (ب) ويكون في الوقت ذاته (ب) خلق (أ) فرضية يبطلها العقل لأنها تناقضه.

ثم يدحض القرآن كل شبهة عند المتشكك فيثبت وجود الله الخالق الرازق بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣]

ما العلاقة بين النعم ووجود الخالق؟

كيف استدل الله سبحانه بأمر الرزق على أنه هو الخالق؟

يفترض القرآن كل الاحتمالات العقلية للوجود فما الفرضية التي عرضها القرآن في هذه الآية؟

الخلاصة

إن القرآن هنا يسأل سؤالاً عاماً ويقول: ضع في ذهنك أي احتمال تريد، لكن ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (فاطر:٣) فإن كان هناك إله خالق، فلا بد أن يكون كل شيء منه، النعم التي تتمتع بها، والرزق الذي يساق إليك، فانظر من يتحكم في هذا فهو الإله الحق وهو الله سبحانه.

من أدلة وجود الخالق إتقان الخلق

ثم ينتقل القرآن ليعرّف الخلق بالحق سبحانه عبر عرض الدليل بعد الدليل تفكر في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦]

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- لماذا اختار الله سبحانه وتعالى نعمة السمع والبصر للتمثيل على نعمه؟
- لماذا يصعب تصور أن يصل العلم الحديث إلى اختراع عين تشابه عين الإنسان مئة بالمئة؟

وللجواب على هذا بحثت في البنية التشريحية للعين، وفي أثناء البحث وقعت على مقالة علمية تقول : العينُ التي خلقها الله جلَّ جلالُه ولَفَتَ نظرَنا إليها هيَ آيةٌ من أكبر الآيات الدالة على عظمته ، هذه العين ترى الأشياء بحجمها الحقيقي وبألوانها الدقيقة. إنَّ العينَ البشرية السليمة تستطيعُ أن تُميّزَ بينَ لونين من بينِ ثمانمئة ألف لونٍ مُدرّجٍ أمامَها، أي لو درّجنا اللونَ الأخضرَ مثلاً إلى ثمانمئة ألف درجة ، فالعين البشرية تستطيع أن تُدركَ الفرقَ بينَ درجتين من هذه الدرجات، هذه العين تتمُ فيها عمليةُ المُطابقة وهي من أبدع العمليات، فالجسمُ البلوري الذي هوَ العدسة مرن، والشبكية التي فيها مئة وثلاثون مليون عُصيّة ومخروط، تستقبلُ الخيال الذي يأتيها من العدسة ، وهذه الشبكية بعدُها عن العدسة ثابت، فكيفَ السبيلُ إلى أن نرى الأشياءَ رؤيةً دقيقةً مع أنها تتبدلُ في مواقعِها من العين؟

هُناكَ عضلاتٌ هُدبيّةٌ بالغةُ الدقّة تضغط على العدسة ضغطاً بالميكرونات بحيثُ يبقى خيالُ الأشياء المرئية على شبكية العين، وهذه العمليةُ يعجزُ عن أن يفعلَها كل علماء الضوء، إنَّ العين تقومُ بهذه العملية المُعقدّة بشكلٍ مُذهلٍ وعجيب.[1]

ربما سيقول المتشكك: إذاً فالعلم الذي درس العين واكتشف كل هذه التعقيدات في عملية الرؤية، هو الخيار الوحيد المتبقي والذي يمكن أن نجعله في موازاة الخالق المفروض، ويمكن له أن يأتينا بكل ما يأتينا الخالق، وعندها لن نكون بحاجة إليه.

١ انظر: المقال في دليل MSD في الشبكة العنكبوتية.

سأقول لـه: لنـدع العلـم يجيبـك هـذه المـرّة، ومـن آخـر النتائـج التـي توصـل إليهـا العلمـاء، ففـي بحـثٍ يعـود إلـى سـنة ٢٠٢٠، لخصتـه مجلـة Nature فـي طبعتهـا المعربـة[٢] لبحـثٍ عـن "عيـن محاكيـة للعيـن البشـرية ذات شـبكية نصـف كرويـة " يقولـون فيـه: تتمتـع العيـن البشـرية بخصائـص اسـتثنائية فيمـا يتعلـق باستشـعار الصـور، فهـي تمتـاز – علـى سـبيل المثـال – بمجـال رؤيـة واسـع للغايـة، ودرجـة عاليـة مـن الدقـة والحساسـية، فضـلاً عـن انخفـاض مسـتوى الانحـراف، ولـو أمكـن تطويـر أعيـن محاكيـة لهـذه الخصائـص، فسـوف يكـون ذلـك تطـوراً إيجابيـاً مهمـاً، ولا سـيما فـي مجـال الروبوتـات، ووسـائل الإبصـار التعويضيـة، غيـر أن الشـكل الكـروي للعيـن الطبيعيـة، وشـبكيتها، يقفـان عائقـاً أمـام تصنيـع الأجهـزة المحاكيـة لهـا".

هـذا مـا يقولـه العلـم الـذي فزعـت إليـه فـي مقابلـة الخالـق، ومعـه ينتهـي هـذا الافتـراض، فمهمـا تقـدم العلـم فلـن يسـتطيع خلـق أدنـى مخلـوق كالذبـاب كمـا قـال القـرآن وتحـدى النـاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحـج:٧٣].

ولـو أذهـب اللّه بصـر أحـد مـا، فـلا أحـد غيـره يسـتطيع أن يأتـي بـه كائنـاً مـن كان، ويصـدق معـه قـول اللّه سـبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعـد:١٦] وليـس العلـم، بـل العلـم يثبـت أن اللّه هـو الخالـق، ولـذا قـرن القـرآن بيـن صفـة الخلـق والعلـم فـي الآيـات التـي عـرف بهـا عـن اللّه سـبحانه، فقـال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلـق: ١، ٥].

نشاط

ابحث في البنية التشريحية لأحد أعضاء الجسم واستدل بدقة صنعها على الخالق سبحانه.

بإمكانك العودة إلى أحد المراجع التشريحية، وليكن Gray's Anatomy for students حاول التأمل في البنية التشريحية للأذن مثلاً، ومدى دلالتها على دقة صنع اللّه تعالى.

٢ وهي مجلة علمية عالمية شهيرة في مجالات العلوم المختلفة، وقد نشرت ملخص هذا البحث في دوريتها : ٣١ يونيو / حزيران ٢٠٢٠، ص ٥٧.

ناقش

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

[الشعراء: ٢٣ - ٢٨]

ماذا تفهم من هذه الآيات؟

- ماذا سأل فرعون وبماذا أجاب موسى عليه السلام؟
- كيف عرَّف موسى برب العالمين؟
- ما موقف فرعون من هذا التعريف؟ وبماذا قابل موسى عليه السلام هذا الموقف؟
- استُخدِم في هذه الآيات منهج مميز في التعريف بالله تعالى فما هو؟

ارجع إلى كتاب «**المنهج السليم في التعامل مع الشبهات**» من هذه السلسلة، واطلع فيه على مصادر تلقي الحقائق.

القرآن يجيب عن سبب الابتلاءات في الدنيا

الحكمة من وجود الشرور والابتلاءات

قد يقرّ الإنسان عقلاً أن الخالق هو إله واحد، لكنه لربما يتساءل: لماذا خلق الشرور الموجودة في هذا العالم؟

لماذا يموت طفل صغير بمرض عضال ويحرم أهله منه وهم الذين انتظروه جنيناً وحسبوا الوقت لولادته بالأيام والثواني؟ ولماذا توجد الفيضانات والأعاصير المدمرة، والحروب البشعة، والأمراض الفتاكة؟

يجيب القرآن عن هذا التساؤل بشكل واضح ، فاقرأ معي قول الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥]

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ماذا سمَّى الله سبحانه وتعالى الشر والخير؟
- بماذا يبتلي الله سبحانه وتعالى الإنسان؟
- ما العلاقة بين الابتلاء والرجوع إلى الله في نهاية المطاف؟

إن القرآن يجيب على هذا التساؤل بأنّ كلًّا من الخير والشر اللذين يصيبان الإنسان هما من صنع الله تعالى، لكنه في سياق الجواب ذاته يبين الحكمة من خلقهما وسبب وجودهما باستخدام لفظَي: ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ و ﴿فِتْنَةً﴾ حيث يبين أنهما ابتلاء من الله وفتنة يختبر بهما عباده، على الرغم من أن العقل يستبعد عادة كون الخير ابتلاء وإنما يحصر الابتلاء والفتنة بالشر، ثم يشير إلى أن نتائج هذا الاختبار نجاحاً ورسوباً والجزاء عليه يكون يوم القيامة حيث قال: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

فإذا تساءل الإنسان: ولماذا هما فتنة وابتلاء أصلاً؟ ألا يمكن أن نمضي الحياة بخير بلا فتنةٍ ولا ابتلاء؟

يجيب القرآن عن هذا التساؤل أيضاً بتبيين طبيعة الحياة في الدنيا ووظيفة الإنسان فيها، تدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد:٤]

وقوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢]

- ماذا تفهم من هاتين الآيتين؟
- ما معنى الكبد في الآية الأولى؟
- ما الغاية من الابتلاء بالموت والحياة؟

يبين القرآن أنّ الطريق في هذه الحياة غير مفروشة بالورود، بل حياة الإنسان مجبولة بالمشقة والتعب وأن كل شيء في هذه الحياة في جوهره وحقيقته جزءٌ من امتحان كبير، منذ ولادة الإنسان إلى الموت، مع ما بينهما من الخير والشر اللذين يصيبانه، فهذه الحياة التي هي ﴿كَبَدٍ﴾ الخير فيها كما الشر جزء من هذا الامتحان، والنجاح فيه لا يقلُّ صعوبةً عن اجتياز اختبار الشر نفسه.

إثراء

يقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ (النمل: ٦٢)

- **ماذا تفهم من هذه الآية؟**
- **ما الذي يدفع الإنسان إلى دعاء ربه عند الاضطرار؟**
- **كيف أبطل القرآن بهذه الحقيقة الفطرية القول بأنّ الخالق هو مصدر الشر في العالم؟**

الخلاصة

إن الاضطرار حالةٌ ثابتة في الإنسان، لأن حياته طُبعت على الابتلاء كما تقدم، وإنّ هذا الاضطرار يشعر الإنسان بالضعف ويشعره في قرارة نفسه أن هناك قويًا قادرًا على كشفه فيدعوه، وهذا من أبرز ما يفسّر حالة التدين المنتشرة بين مختلف شعوب الأرض، والقرآن استخدم هذه الحقيقة الفطرية لإثبات وجود الله تعالى الذي يرجع إليه كل ما في الكون وهو القادر على أن يكشف السوء والشر عن المضطرين، فالشر الذي اضطرك للرجوع إلى فطرتك ودعاء ربك الذي خلقك لينقذك ليس شراً بالمطلق، فكيف يكون هذا الرب الذي دعوته فأنقذك هو مصدر الشرور في العالم؟!

القرآن يجيب عن حكمة خلق الإنسان

وظيفة الإنسان في الأرض

عند اكتمال الصورة يُفهم المراد، ولفهم الحكمة من وجود الشر في الأرض لا بد من فهم طبيعة الحياة الدنيا ودور الإنسان فيها ووظيفته المطلوب منه أداؤها .

والقرآن الكريم يجيب عن ذلك في ثاني سورة في القرآن الكريم، اقرأ هذه الآية بتدبر وتفهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ما مهمة الإنسان على هذه الأرض؟
- بماذا وصفت الملائكة عمل الإنسان في الأرض؟
- ما علاقة هذا بقضية وجود الشر واستكمال صورة الحكمة من خلقه؟

إن الوظيفة التي خلق الله الإنسان لأجلها كما يحددها القرآن في هذه الآية هي الاستخلاف، أي: أن يكون خليفة الله في إعمار أرضه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] ويتمثل هذا الإعمار بسعيك أن تغادر الحياة وهي في حالٍ أفضل مما دخلت عليها؛ بنشر تعاليم الله بين عباد الله ، وعمارة الأرض وفق مراد الله، ولكن هذه الأرض فيها المؤمن وفيها الكافر، فيها الطيب وفيها الخبيث، فبينما أنت تسعى لإعمارها وفق منهج الله وشريعته لن تقبل نفوس أولئك الكافرين الفاسدين إعمارها لأنه يضر بمصالحهم، فيعيثون فيها فساداً بفعل الجرائم من قتل وتعذيب، ولهذا تعجبت

الملائكة من توظيف الله سبحانه للإنسان في إعمار الأرض، لأنها علمت من طبيعة الإنس وما فيهم من ميول وشهوات ما يخوفها من طغيان هذه الصفات عليهم فينقلب الإعمار إفساداً، فيصبح هذا الشر محنةً وابتلاءً للمؤمن فيسعى في إصلاح فساد المفسدين. وهو فتنة أيضاً للطائفة الأخرى حيث منحها الله القوة والأسباب وطلب منها توظيفها في إعمار الأرض ففشلت في استخدام هذه القوة، واستخدمتها في الإفساد بدل الإعمار.

فالغنى للمسلم فتنة واختبار له، فإذا كان واعياً لمفهوم الاستخلاف في هذا المال، سعى في تخفيف الفقر الموجود في العالم، والذي سببه في غالب الأحيان شر الأقوياء بجشعهم وطمعهم واستضعافهم للفقراء واستغلالهم دون وجه حق.

نشاط إثرائي

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]

كيف يمكن الجمع بين مفهوم " الاستخلاف " ومفهوم " العبادة" ، في الآيتين مع أنهما ذكرا في معرض الحكمة من خلق الإنسان؟ اكتب بحثاً في ذلك وناقشه مع أصدقائك.

إذن مع اكتمال عناصر الصورة لدى الإنسان أصبح بإمكاننا أن نقول: إن الحياة وجدت لتكون دار امتحان، والشر – كما الخير – هو جزء من هذه الحياة، وهو جزء من هذا الامتحان، والإجابة على الامتحان تتطلب فهم طبيعة هذه الحياة والصبر عليها من جهة، ومن جهة أخرى العمل على تحسين ذلك الواقع وظروف تلك الحياة.

لذا فإن استعمال القرآن كلمة "الابتلاء" عن الشر، بدل كلمة "معاناة" يعطي المبتَلَى به تفسيراً داخلياً يوضح له أن ما حدث ربما كان تقويةً للمرء استعداداً لتجارب قادمة.. أو عقوبةً.. أو تطهيراً.. أو تذكيراً.

أما إذا كان الابتلاء بسبب بشر كالطغاة أو الظلمة الذين تسببوا بمعاناة الناس فسيتعرضون لعقاب شديد ولو بعد حين، وهذا المفهوم هو البعد الثاني الذي أضافه القرآن عند حديثه عن الشر عندما ختم آية الأنبياء بقوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥] فبضم اليوم الآخر للحياة الدنيا يكتمل المشهد .

إثراء

يقول المتشكك إن الله الذي خلق الشر أراد ذلك، وهذا يعني أننا مجبرون على أفعالنا واختياراتنا ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩]، ثم إذا وقعنا به عاقبنا عليه .

- كيف ترد على هذه الدعوى؟
- هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر في هذه الحياة؟ وكيف توجه معنى الآية في ضوء هذه القضية؟
- كيف يستقيم تكليف وإجبار؟ أليس المكلَّف أمام خيارين إما أن يقوم بما كُلِّف به أو أن يُعْرِض عنه؟

الخلاصة

إن كوننا أصحاب وظيفة على هذه الأرض يقتضي بالضرورة أننا مكلفون من قبل الله تعالى بتحقيق هذه الوظيفة وتنفيذها، والتكليف يقتضي التخيير أي أننا أمام خيارين إما القيام بهذه الوظيفة، أو الإعراض عنها، وهو ما يعبّر عنه القرآن بقوله: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإنسان:٣) فللإنسان حرية الاختيار، ولكنها حرية اختيار مرتبطة بنتائج نهائية، فالذي أعرض عن القيام بالوظيفة ولم يقم بحقها فالنتيجة ستكون حينها: ﴿سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ (الإنسان:٤) وفي الجهة المقابلة: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ (الإنسان:٥)

أما قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (التكوير:٢٩) فإنها تؤكد على تخيير الإنسان لأن مشيئة الله أن يكون الإنسان مخيراً بين واحد من هذين الأمرين: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإنسان:٣) فالأستاذ الذي يفرض على طلابه وظيفة ما لليوم التالي، لن يقول أحد إنّ فرضه هذا هو إجبارٌ لهم، طالما أنه من الممكن تصور احتمال عدم القيام به من قِبل عدد منهم بل وربما جميعهم.

ناقش

يتساءل المتشكك إذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم نتيجة هذا الامتحان مسبقاً ألا يعد امتحانه لنا إجباراً؟ ثم لماذا يمتحننا وهو يعلم نتيجة امتحاننا ويعلم الناجح والراسب؟

- كيف يمكنك أن تجيب على هذا التساؤل وفق منهج القرآن في الرد على المتشككين؟
- أعط مثالا يمكن أن يبين الفرق بين العلم بالشيء والإجبار عليه.
- برأيك ماذا يقول هذا المتشكك لو كرم الله الناجحين وعاقب الراسبين قبل الامتحان؟

يقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ (الأنعام: ١٤٨).

- ماذا تفهم هذه الآية؟
- بماذا برر المشركون شركهم؟
- ما المنهج الذي استخدمه القرآن في الرد عليهم وتفنيد تبريرهم؟
- اذكر شاهداً استخدم فيه القرآن هذا المنهج؟

إثراء

برر المشركون ما هم عليه من شرك بأن الله شاء لهم هذا الإشراك، فكأنهم مجبرون على شركهم، فاحتج عليهم القرآن وطالبهم بتقديم الدليل على ذلك الإجبار، أو إظهار ما يثبت دعواهم، فإذا لم يفعلوا - والحال أنهم لن يفعلوا إذ لا دليل عليه - قامت الحجة عليهم بأنّ ادعائهم هذا مجرد إسقاط للمسؤولية عن أنفسهم، وأنهم لم يُتعبوا عقولهم في البحث عن الحقيقة ، واكتفوا باتباع آبائهم والسير على خطاهم دون أي تفكير أو تيقن.

الخلاصة

تذكر

في نهاية هذا المحور، لا بد أن نتذكر أن القرآن قدم أجوبة مقنعة عن كبرى الأسئلة المتعلقة بالخلق، فبرهن أن الله سبحانه وتعالى الخالق الواحد، وأجاب عن حكمة خلق الإنسان باستخلافه في الأرض، وأجاب عن حكمة خلق الشر ووجوده في العالم، ثم أثبت الاختيار للإنسان في ممارسة وظيفته الاستخلافيَّة في هذه الأرض، ونفى الجبر عنه، بل أعطاه الاختيار المرتبط بالمحاسبة يوم القيامة، فهي إذن أركان أربعة:

١. الإيمان بالله سبحانه وتعالى خالقاً واحداً.

٢. فهم طبيعة الحياة وكونها دار امتحان وابتلاء.

٣. فهم وظيفة الإنسان الاستخلافية على هذه الأرض.

٤. الآخرة هي مكان النتيجة النهائية لحرية الاختيار.

أربعة أركان متكاملة، مجتمعة، تشكل عيناً بصيرة تمنحنا نظرة متوازنة عن وجودنا وطبيعة علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، وبها أيضاً يمكن فهم ودفع ما يعترضنا من شبهات عن طبيعة تلك العلاقة بيننا وبين الله تعالى.

نشاط

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي ﷺ:

«ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ إلَّا أعطاه اللهُ بها إحدَى ثلاثٍ: إمَّا أن يعجِّلَ له دعوتَه وإمَّا أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ وإمَّا أن يصرِفَ عنه من السُّوءِ مثلَها» (رواه أحمد برقم ١١١٣، وهو حديثٌ حسن)

في ضوء هذا الحديث ومن خلال الأركان الأربعة السابقة، حاول الإجابة عن سؤال: دعونا الله تعالى فلماذا لم يستجب لنا؟

التقويم

١ حاول الإجابة على التساؤل الآتي وفق ما لديك من معطيات سابقة ذكرت في هذا المحور:

أ. مادام الله يعرف مصير كل منّا سواء في الجنة أو في النار، فلمَ العمل؟

ب. إذا كان الله تعالى كتب علينا أقدارنا قبل أن يخلقنا فهذا يعني أننا مسيرون لا اختيار لنا.

ت. العلم أعطى الإجابة الكافية ولا حاجة لوجود الإله.

٢ اختر الإجابة الصحيحة:

أ. ضبط القرآن مفهومي الخير والشر بضابطين هما:

١- الابتلاء والفتنة

٢- الفتنة والدنيا

٣- الابتلاء والآخرة

٤- الدنيا والآخرة

ب. تشير كلمة: "كبد" في الآية الكريمة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:٤] إلى معنى:

١- المشقة

٢- المحبة

٣- اليسر

٤- التنعم

القرآن الكريم

إبطال القرآن لكبرى المقولات الخاطئة

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتعرف على كبرى المقولات الخاطئة المتعلقة بالعقائد وكيف أبطلها القرآن.
- يتعرف على كبرى المقولات الخاطئة المتعلقة بالتشريع وكيف أبطلها القرآن.
- يتعرف على كبرى المقولات الخاطئة المتعلقة بالسلوك والأخلاق وكيف أبطلها القرآن.
- يستنبط منهج أسلوب القرآن في إبطال المقولات الخاطئة.

اللّٰه الواحد

أنت ترى كيف أزال القرآن بالفرضيات السابقة ونقاشه لها الشك في وجود الخالق، لكن ربما يتشكك المرء في وحدانيته فيتساءل لماذا علي الإيمان باللّٰه الواحد؟ ما الضرورة العقلية والنفسية للقول بوحدة الإله؟

يجيب القرآن عن هذا التساؤل بجواب جامع في إثبات وحدانيته:

اقرأ معي الآيات الآتية بتمعن وتدبر: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]

وقال اللّٰه تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: ٢٩]

وقال سبحانه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩﴾ [يوسف: ٣٩]

- ماذا تفهم من هذه الآيات؟
- بماذا مثَّل اللّٰه سبحانه مسألة وحدانيته؟
- ما الخيرية المقصودة بالقول بوحدة الخالق؟

إن القرآن بعد أن عرف باللّٰه الخالق بيَّن أنه واحد ليس له شريك في ملكه، وأن القول بهذه الوحدانية ضرورة عقلية، وهو أيضًا ضرورة نفسية؛ لأن تعدد الآلهة يؤدي إلى تعدد المعبود، وفيه ما فيه من تشتيت للنفس وتفريق للمشاعر، فلا توجد متعة ولا

راحةٌ نفسية كالتي تحدث حين تسير تلك المشاعر باتجاه واحد، لسيد واحد، هو المعبود الواحد الحق الذي اختارت النفس رضاه، فحين تكون كذلك تصل إلى الراحة والطمأنينة، وتبتعد عن التشتت والتمزق، وهذا هو معنى الخيرية التي قررها يوسف عليه السلام في قوله: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]

المقولات الخاطئة المتعلقة بالعقائد:

لا يفتأ المشككون بتوجيه الشبهات إلى القرآن الكريم في كل وقت وحين، وهذه الشبهات تعود إلى مقولات كبرى سبق المشركون في عهد النبوة بتوجيهها فأجاب عنها القرآن بأجوبة مقنعة مفحمة.

أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟!!

تعجب المشركون في عهد نزول القرآن من قضية التوحيد فقالوا: وُلِدْنا وترعرعنا على وجود آلهة متعددة، وتوارث آباؤنا عن آبائهم عبادة تلك الآلهة، والذي عندنا من العلم أن له شركاء من الإنس والجن، وأن له بنين وبنات، فيا للعجب من رجل يناقض كل هذا ويدعي الوحدانية!!

وقد نقل القرآن هذا التعجب، فاقرأ معي النص الآتي بتدبر وتمعن:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٠]

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٤-٥]

- **ماذا** تفهم من هذا النص؟
- **ماذا** ادعى المشركون لله تعالى؟
- **من** ماذا تعجب المشركون؟ ولماذا تعجبوا؟

تعجب المشركون قبل أربعة عشر قرناً من القول بوحدانية الخالق، ونفي الولد عنه فأجاب القرآن عن مقولتهم الشنيعة أن الله اتخذ ولداً وأبطلها بقوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١]

ماذا تفهم من هذه الآية؟

كيف أجاب الله سبحانه على مسألة نسبة الولد إليه؟

ماذا تعني الحاجة إلى الزوجة والصاحبة؟

الولد لا يكون إلا بوالدة، أي بزوج وزوجة، بصاحب وصاحبة، فأين أم هذا الولد؟! يقول القرآن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣] ثم إن اتخاذ الزوجة في عرف القائلين المدعين إنما هو لقضاء الحاجة والوطر والشهوة، ومن كان صاحب حاجة كان ناقصاً، وتعالى الله الكامل وتنزه عن النقصان، فسقطت مقولتهم، وأبطلها باستخدام منطق القائل نفسه يقول: ادعيت

لله ولداً لأنك ترى في منطقك وعرفك أن الولد عز وجاه، لكن غفلت أو تغافلت أنه لا يكون ولد بلا والدة؟! فأين هي؟! والله سبحانه منزه عن الزوجة والصاحبة!

وأجاب عن دعواهم بوجود الشريك بجوابين اثنين مختصرين، يدعّم كل واحدٍ منهما الآخر:

اقرأ معي الآيات الآتية بتمعن وتدبر:

قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١]

وقال سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **ماذا** فرض الله سبحانه في مسألة الوحدانية؟
- **ما** النتيجة الحتمية على فرضية وجود إلهين أو أكثر لهذا الكون؟

إن القرآن ينفي فرضية وجود إلهين في الكون بالنظر إلى النتيجة التي تترتب على هذه الفرضية، وهذه النتيجة لها شقان:

الأول: ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ يقول: لو افترضنا وجود إلهين فعلاً يقتسمان المهام لانعكس ذلك على المخلوقات اختلافاً بحسب خالقهم، فمثلاً لو أنهما اقتسما الكرة الأرضية: إله تفرّد بالكرة الأرضية في قسمها الشمالي، والآخر في الجنوبي واستقلَّ كل واحدٍ منهما في حكم نصيبه، وفي تقدير كل تفصيلٍ بدءاً من أصغر

خلية في الإنسان وصولاً إلى أعلى جبلٍ فيهما، لو حدث شيء كهذا لرأينا اختلاف المخلوقات في القسمين باختلاف هذين الخالقين، لكن الواقع يشهد بتشابه الخلق في القسمين ووحدته، وهذا يؤكد بأن خالق القسمين واحد.

هذا ونحن نفترض أنهما مستقلان في الخلق كلٌّ في بقعة منفردة عن الأخرى، ماذا لو كان الإلهان في نفس البقعة، وكانا يشتركان في الكرة الأرضية كلها؟ فهذا هو الشق **الثاني** من النتيجة: ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ يقول: لنفترض إذن أنهما كانا يتشاركان الكرة الأرضية كلها وأراد أحدهما مثلاً أن ينزل مطراً في مكان ما بينما لم يرد الآخر ذلك فنحن هنا أمام احتمالات ثلاثة:

الأول: أن ينفذ أحدهما مشيئته ويمنع الثاني من تحقيق إرادته، وهذا يعني أن من نفذ إرادته هو الإله الحق والثاني لا يستحق أن يكون إلهاً، لأن الإله لا يغلب .

الثاني: أن يبطل كل إله مشيئة الآخر، فيتعطل الخلق، وهذا يتعارض مع مفهوم الإله من الإرادة المطلقة والقدرة المطلقة، فكلاهما ليس إلهًا.

الثالث: أن يتفقا على أن يقوما معاً بإنزال المطر على ذلك المكان، وحينها لا معنى لوجودهما معاً لأن إنزال المطر يحدث بفعل الواحد منهما وليس بفعلهما معاً، لاستحالة اجتماع مؤثرين مستقلين بنفس القوة على أثر واحد في الوقت نفسه.

وإذا كان الأمر لا يخرج عن واحدٍ من هذه الحالات الثلاث، فالأُولى تقرر الوحدانية، وهذا هو الحق والثانية تقتضي أنه لا حاجة لوجودهما معًا، وأسوؤها يقتضي تعطيل الخلق وهو الفساد الذي أشار إليه بقوله: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ [الأنبياء: ٢٢]

نشاط إثرائي

ابحث في القرآن الكريم عن الآيات التي تحدثت عن ادعاء البعض أن لله ولداً، اجمع الآيات واستنبط منها كيف رد الله عليهم دعواهم.

إبطال المقولات الخاطئة في مصدرية القرآن وادعاء التناقض فيه

ادعى المشركون تارة أن القرآن الكريم من تأليف أحد البشر أخذه محمد عنه، وقالوا تارة: هو عبارة عن أساطير قديمة عثر عليها محمد فقرأها وألقاها على قومه، وقالوا حيناً: هو سحر تعلَّمه وسحرنا به، وهذه المقولات توارثها المشككون جيلاً عن جيل حتى ادعا بعضهم من أهل زماننا أن القرآن مجرد عبقرية تفوَّق بها محمد بن عبد الله.

وقد نقل القرآن لنا هذه المقولات الخاطئة التي تقوّلها المشركون في زمن نزوله، فاقرأ بتدبر هذه الآيات التي تبين تلك الشبهات:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان: ٥]

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: ٧]

وقال عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [يونس: ٣٨]

فهذه مقولات الكفار الخاطئة حول القرآن، ومفادها أن القرآن ليس من عند الله بل إما أن محمداً ساحر، وإما أنه تعلمه من أحد البشر، وإما أن محمداً اطلع على كتب الأقدمين وأساطيرهم فنقلها واكتتبها.

ويجيب القرآن عن المقولة الأولى فيقول في تتمة الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣] وكانوا ادعوا أن محمداً التقى بفتى يدعى بَلْعام وكان حداداً روميّاً نصرانيّاً ، وأن محمداً أخذ القرآن عنه ، ولكن لجهلهم غفلوا أو تغافلوا عما ينقض دعواهم، وهو أن هذا الفتى أعجمي ليس له باع في الفصاحة والبلاغة، والقرآن في أعلى مراتب الفصاحة، ومع ذلك اتخذه المشركون ذريعة للتشكيك في القرآن!!

ويجيب عن المقولة الثانية وهي كتابة أساطير الأولين بالآية: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العنكبوت: ٤٨] يقول:

ارجع إلى كتاب «المنهج السليم في التعامل مع الشبهات» من هذه السلسلة، واقرأ فيه كيفية التعامل مع الشبهات وطرق التحصين منها .

أنتم تعلمون أن محمداً أميٌّ، نشأ بينكم لا يقرأ ولا يكتب فكيف تدعون ما تدعون؟!!

وأما المقولة الثالثة وهي أن لديه ملكة السحر أو أوتي عبقرية عظيمة خولته اختلاق هذا القرآن ثم نسبه إلى الله افتراء عليه، فيجيب القرآن بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨] يقول: هاتوا سحرتكم وأذكياءكم وكبراءكم وادعوا من شئتم من دون الله فليأتوا بسورة مثل سور القرآن فإن فعلتم كان كلامكم حقاً، وإن عجزتم وستعجزون فأقروا إذًا أنه من عند الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]

- **ماذا** تفهم من هذه الآية؟
- **كيف** تثبت هذه الآية أن القرآن من عند الله تعالى؟
- **ما** الاختلاف المراد في الآية؟

يدعو القرآن منتقديه أن يتدبروا جميع آياته وأن يبحثوا عن تباين واختلاف فيه، فلينظروا هل يجدون في نظمه وبلاغته تبايناً بأن يكون بعضه بالغاً حد الإعجاز، وبعضه قاصراً عنه ؟

أو هل يجدون في معانيه اختلافاً بأن يكون بعضه صحيح المعنى وبعضه فاسداً سقيماً؟ أو هل يجدون أنه أخبر عن الغيب وقصص السابقين بما يوافق الواقع تارة بحسب ما عندهم من علم وبما يخالفه ؟ وهل أتى بحقائق عقدية وأحكام تشريعية لا تناسب البشرية ويمكن الرد عليها والطعن بها ؟

كل هذه الألوان من الاختلافات والاحتمالات لا نجدها في القرآن الكريم، مما يدل قطعاً على أنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وخلاصة القول: إذا كان القرآن قد أعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح، وصوّر الحقائق تصويراً تامًا بلا اختلاف ولا تناقض. وأخبر عن الماضي السحيق خبر صدق موافق للواقع، وتحدث عن الحاضر ومكنونات الأنفس والضمائر بما يبهر ويخرس الألسنة الناقدة، وأنبأ عن بعض أمور المستقبل، فوقعت مطابقةً لما أخبر عنه، فلا يمكن بعد هذا إلا أن يكون من عند الله العزيز العليم.

نشاط

لخص الفقرة السابقة في نقاط مرتباً المقولات الخاطئة بحسب انتشارها من وجهة نظرك

أضف إجابات أخرى ترد تلك المقولات الخاطئة وناقشها مع إخوانك.

إبطال المقولات الخاطئة في تحكيم الشريعة والتحليل والتحريم:

ذكر القرآن بعض المقولات الخاطئة التي وجهت إلى تشريعه في زمن نزوله، وعلى هذه المقولات بنى بعض منكري القرآن من أهل زماننا مقولاتهم الخاطئة والتي مؤداها أنه لا ينبغي تحكيم الشريعة في حياتنا، لأن القانون محكوم بالمصلحة، ولأن الأحكام تتبدل وتتغير بتغير تلك المصلحة، ولأن العقل البشري قادر على سن قوانين تشريعية تضاهي تشريعات القرآن، يقول الله تعالى مبيِّنًا تلك المقولات التي وجهها المشركون لتشريع القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يس: ٤٧]

وقال أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **بماذا** علل المشركون تحليل الربا؟
- **ما** سبب امتناعهم عن الإنفاق على الفقراء؟
- **ما** المراد بالطاغوت في الآية الأخيرة؟

احتكم المشركون إلى عقولهم وأعرافهم فما رأوه حسناً يلائم مصالحهم أحلوه، وما وجدوه قبيحاً ينافر طباعهم ومصالحهم حرموه، فقاسوا الربا على البيع وحكموا بتحليله، وعللوا عدم إنفاقهم على الفقراء والتكافل معهم بأن هذه إرادة الله، فقد آتاهم فضله ولو شاء لآتى أولئك الفقراء، وتحاكموا إلى الطاغوت وهو كل مطاع من

دون الله يحكم على خلاف حكم الله تعالى، اتباعاً لمصالحهم.

فيجيب القرآن عن هذه المقولات الخاطئة مبطلاً لها فيقول الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩]

ويقول أيضًا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **ما** الرابط بين الإيمان وبين تحكيم شريعة الله؟
- **من** له صلاحية التحليل والتحريم؟
- **لماذا** كان حق التشريع لله سبحانه وتعالى وحده ؟

يجيب القرآن مبطلاً تلك المقولات الخاطئة حول تشريعه، فيقول: إن من المسلَّمات أن الصانع يعلم صَنْعته، ويضع لها من تعليمات التشغيل والصيانة ما يضمن لها سلامة الأداء وأمن الاستعمال. فإذا ما استعملْتَ الآلة حَسبَ قانون صانعها أدَّتْ مهمتها بدقة، وسلمت من الأعطال، أفلا يكون مُسَلَّماً أيضاً أن من خلق الإنسان أعلم بقانون صلاحه، فيقول له: افعل كذا ولا تفعل كذا؟ فمن آمن به خالقاً آمن به مشرعاً، سواء فهم العقل علة تلك القوانين وحكمتها أو لم يفهم، ومن هنا كان تشريع القرآن في القضايا العامة والخاصة، وسياسة الأمم والحكم والاقتصاد وغير ذلك أَوْلى بالاتباع، وهي تشريعات لم يُسبَق إليها، ولا تستطيع العقول البشرية أن تصل إليها من تلقاء نفسها دون هداية من الوحي الإلهي.

نشاط إثرائي

ابحث عن مثال لتطابق أفضل ما توصلت إليه عقول المصلحين مع أحكام الشريعة من جهة صلاحها وفائدتها للناس، ارجع إلى سورة البقرة آية : ٢٧٥ وسورة الحشر آية ٧ واستنبط منهما ما يساعدك على الإجابة.

تصحيح السلوكيات الخاطئة في مجال الأخلاق:

شغلت قضية الأخلاق وما ينتج عنها من سلوكيات حيزاً كبيراً في القرآن الكريم على ما ستعلمه في محور القرآن والأخلاق، والمناسب ذكره هنا أن القرآن وجد في القوم الذين أنزل إليهم صفات سيئة أنتجت سلوكاً خاطئاً أدى إلى الامتناع عن مطاوعة الحق ، والحيد عنه، فاقرأ هذه الآيات الكريمة وتأمل في معانيها بتدبر وتفكر:

قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر: ٥٦]

وقال تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣﴾ [النحل: ٢٢، ٢٣]

وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢]

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **ما** الخُلُق المذكور في الآيتين الأولى والثانية؟ وكيف تقوِّمه؟
- **ما** السلوك الخاطئ الناتج عن هذا الخلق؟

نهت الآية الثالثة عن عدة سلوكيات خاطئة فما هي؟ وما الخلق الذي نتجت عنه هذه السلوكيات الخاطئة؟

إن من أخطر الأخلاق السيئة والتي تنتج سلوكيات خاطئة الكبر، فالمتكبر يرى نفسه أعلى ممن حوله، فيغشى كبره على عقله ويحتكم إلى نفسه، ويتبع هواه، ويصعب عليه الانصياع للحق، فيعاند ويكابر، وهذا ما يعلل كفر المشركين بالقرآن حين أنزل عليهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزخرف: ٣١] لأنهم استكبروا على محمد ﷺ ولم يروه أهلاً لمهمة حمل القرآن، ويكفي المتكبر شقاء أنه لا يقبل الحق، ولا يسلك سبيله، فالكبر مرض نفسي خطير على صاحبه وعلى المجتمع.

ومن الأمراض النفسية الخطيرة أيضاً سوء الظن والتجسس والغيبة وكلها من السلوكيات الخاطئة التي نهى القرآن عنها، لما لها من أثر هدام على الفرد والمجتمع، وقد عالج القرآن هذه الأخلاق السيئة وتلك السلوكيات الخاطئة الناتجة عنها ودعا إلى تصحيحها وتقويمها، اقرأ معي هذه الآيات الكريمة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف: ١٣]

وقال سبحانه: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

[القصص: ٣٩، ٤٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٠ - ١٣]

وقال عز وجل ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

[الحجرات: ١٢]

عالج القرآن قضية الكبر بالغوص في عمق التاريخ فقص علينا قصص المستكبرين وبيَّن لنا مآلهم، فما طُرِد إبليس من الجنة إلا بكبره، وما أهلك فرعون إلا لأنه استكبر، وكذلك معظم الأمم التي كذبت أنبياءها كان سبب تكذيبهم الكبر فكان عاقبة أمرهم خسراناً وهلاكاً، فاللبيب يتعظ بغيره ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾ [يوسف: ١١١].

وعالج القرآن السلوكيات الأخرى عبر تصوير تشمئز منه النفوس ؛ فنهى عن طاعة المكابر المعاند -رغم ضعفه في حقيقة الأمر- الذي يغتاب ويمشي بالنميمة ليفسد بين الأحبة، ويمنع الخير عن المحتاج ويتعدى على الحقوق ويجترئ على المحرمات ثم هو غليظ جلف فظ معروف بشرِّه وأذاه، وأنت ترى كيف صور القرآن رجلاً جمع من مساوئ الأخلاق جُلَّها، فذكر رأسها وهو الكبر، ثم رتب ما بعدها عليه، لينفر السامع والقارئ منها فإن من تساهل بأحدها لم يؤمن أن يقع في سائرها.

وبأسلوب التصوير والتمثيل أيضاً عالج القرآن سلوك الغيبة على وجه الخصوص، فصور المغتاب الذي يتكلم في أخيه بما يكره في غيبته، كمن يأكل لحم أخيه وهو ميت، فمن أراد أن يغتاب أخاه فليستحضر أنه ينهش من لحم ميت ويأكل، فمن اشمأزت نفسه من هذه الحال فلتشمئز إذاً من الغيبة لأنها تشبهها.

القرآن والأسئلة الوجودية

بعد عرض أجوبة القرآن عن الأسئلة الوجودية الكبرى وإبطاله لكبرى المقولات الخاطئة حسن أن نلخص منهجه وأسلوبه في الإجابة عن تلك الأسئلة، وفي إبطال المقولات الخاطئة ، وتصحيح السلوكيات الخاطئة:

١. **تحكيم الفطرة:** فالله سبحانه خلق الإنسان وأودعه فطرة سليمة تدله عليه، يقول سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم: ٣٠] واستدل القرآن بهذه الفطرة على وجود الله عبر لجوء الإنسان بفطرته عند الاضطرار إلى الله سبحانه، يقول الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

٢. **الدعوة لإعمال العقل والتفكر:** كثيرة هي الآيات التي تدعو إلى التفكر في خلق السماوات والأرض للاستدلال بها على وجود الخالق ووحدانيته، وقد خاطب القرآن الناس في دعوتهم لإعمال العقل بأساليب عدة منها:

أ. **أسلوب الفرضيات العقلية ونقضها:** كقول الله سبحانه: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٦] فخاطبهم بأسلوب الافتراض العقلي لتفسير الخلق فاستعرض كل الفرضيات المحتملة والتي هي منقوضة عقلاً، لتبقى حقيقة واحدة بادية لهذا العقل مفادها أن الله هو الخالق لهذا الكون.

ب. **أسلوب الاستدلال بإتقان الخلق:** فالعجز عن صنع مثيل لخلق الله المتقَن دليل على وجوده، كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنعام: ٤٦]

ت. **أسلوب الاستدلال باللازم:** خاطب القرآن المشركين بمبدأ القول باللازم من دعواهم، كدعواهم نسبة الولد له سبحانه فهي تستلزم نسبة الزوجة له، والزوجة دليل الحاجة والنقص، والإله منزه عن النقائص، كما في قوله سبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام:١٠١]، وكذلك خاطبهم بهذا الأسلوب في نقض مقولتهم الخاطئة بتعدد الآلهة؛ قال سبحانه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢]

وقال أيضاً: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١]، فبقليل من التأمل تكتشف أيها الإنسان أن القول بتعدد الآلهة يستلزم فساد الكون.

ث. **ثم دعاهم ليعملوا عقولهم ويتأملوا في الواقع المخالف لدعواهم؛** قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣] فالقرآن عربي مبين فصيح بليغ وينسبون تأليفه لرجل أعجمي لا يحسن العربية!!

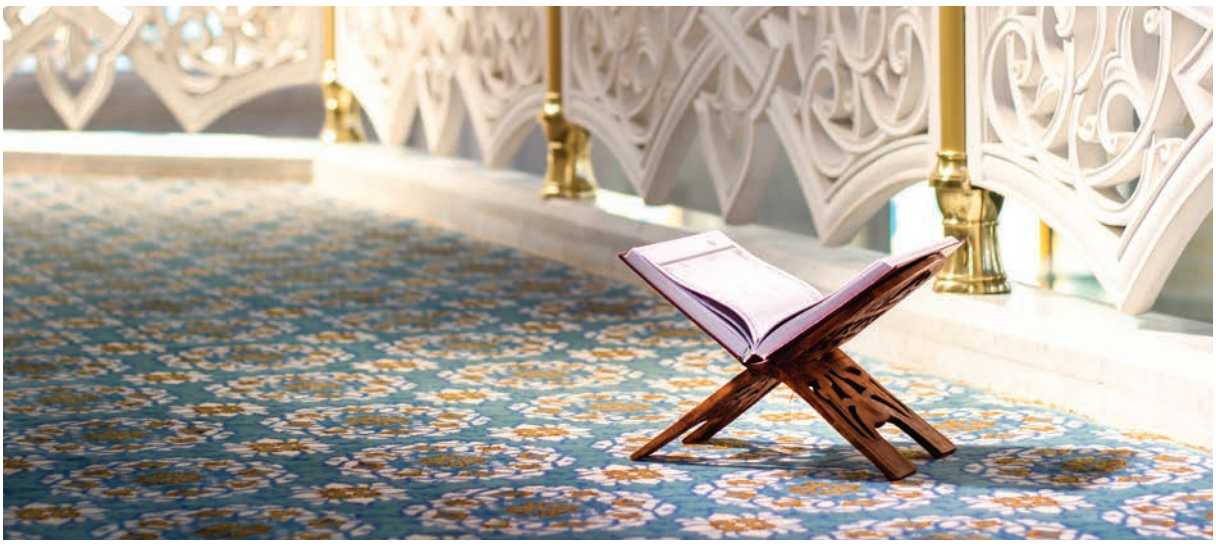

ج. **ثم خاطبهم بأسلوب الحوار حين قص عليهم خبر موسى مع فرعون؛** يقول الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٨] عرض قضية وجود الله وعرض أدلتها العقلية في هذا الحوار، كما سلط الضوء على فن التجاهل وترك المشاغبة والتركيز على الهدف من الحوار.

٣. **عرض قصص الأمم السابقة:** فالقرآن قص أخبار الأمم السابقة وما آلت إليه نهاياتهم، وهو لا يهدف من سرد هذه القصص توثيقها تاريخياً بقدر ما يهدف إلى إثبات حقائق عظيمة، وتقرير نتائج وعِبَر يستخلصها العاقل، فاللبيب من اتعظ بغيره، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

٤. **التحدي الصريح:** خاطب القرآن المشككين فيه بكل ثقة متحديًّا لهم أنهم إن كانوا صادقين في شكهم ودعواهم فليأتوا بسورة مثله بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨] وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨] فعجز المخاطبون عن كلا التحديين.

٥. **ضرب الأمثال:** أبطل القرآن الكثير من المقولات الخاطئة عبر ضرب الأمثال، يقول الله سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩] فكما أن المخاطَب سيرجح اختيار الانفراد في هذا الرجل الذي ضُرِب مثلاً، سيرجح وحدانية الخالق للعلة ذاتها وهي انتفاء المشاكسة. وقريب من ضرب الأمثال تصوير القرآن لسلوك خاطئ تصويراً تشمئز منه النفوس لينفِّر السامعين منه كما قال سبحانه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢]

نشاط إثرائي

اصنع جدولاً تصنف فيه أساليب القرآن في الإجابة على الأسئلة الوجودية والرد على المقولات الخاطئة مع ذكر الآيات القرآنية التي تدل على هذا الأسلوب. وفق الشكل المقترح:

الأسلوب القرآني	المثال من هذا الكتاب	المثال الجديد من القرآن الكريم

التقويم

١ كيف أبطل القرآن المقولة الخاطئة التي تدعي لله ولداً؟

٢ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح العبارة الخطأ:

١. ( ) العقل البشري قادر على سن تشريعات تضاهي تشريع القرآن الكريم

.....

.....

.....

٢. ( ) إن من أخطر الأخلاق السيئة والتي تنتج سلوكيات خاطئة الكبر

.....

.....

.....

٣. ( ) دعا القرآن لإعمال العقل فخاطب الناس بأسلوب التحدي

.....

.....

.....

٣ اربط بين خطاب القرآن والأسلوب المناسب له:

خطاب القرآن	الأسلوب
١. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾	( ) الفرض العقلي
٢. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾	( ) التحدي
٣. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	( ) القصص
٤. ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾	( ) القول باللازم

القرآن مصدر للتشريع ومعرفة الأحكام

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يبيِّن حجية القرآن الكريم .
- يعرف شمولية القرآن الكريم .
- يبيِّن صلاحية القرآن لكل زمان ومكان .
- يوضِّح الميّزة التشريعية للقرآن الكريم .
- يعدد مصادر التشريع المتفق عليها .
- يعدد مصادر التشريع المختلف فيها .
- يبيِّن ارتباط هذه المصادر بالقرآن .

C
1200 series
2200 series
3200 series
Classic Milk Frother
EP1220
Classic Milk Frother
EP2220
EP2221
EP2224
EP3221
LatteGo
EP2230
EP2231
EP2235
EP3241
EP3243
EP3246
EP3249
D
Contents
Machine overview (Fig. A)
Control panel (Fig. B)
Introduction
Before first use
Brewing drinks
Adjusting machine settings
Removing and inserting the brew group
Cleaning and maintenance
AquaClean water filter
Setting the water hardness
Descaling
Cleaning procedure (30 min.)
Cleaning procedure (15 min.)
Troubleshooting
Technical specifications
Machine overview (F
Control panel

تمهيد

أهدى إليَّ أحد أصدقائي هدية بمناسبة ترقيتي في العمل، وبعد ذهابه فتحت الصندوق فوجدت قطعة جميلة لم أعرف ما هي ولا وظيفتها ولا كيفية تشغيلها، فبحثت عن دليل الاستعمال الخاص بها وقرأته وعرفت الطريقة التي يعمل بها هذا الجهاز، أو ربما بتعبير أدق: كيف يمكنني أن أتعامل مع هذا الجهاز، وبفضل هذا الدليل استطعت أن أحصل على أفضل ما عند هذا الجهاز.

لا يختلف الأمر بالنسبة لكتاب الله تعالى، فهو الدليل لاستخدام هديّة الله تعالى الكبيرة لنا، هدية الوجود في هذه الحياة، فالقرآن رسم لنا طريقة تعاملنا مع الكون بأسره، ولا سيما البشر الذين يشاركوننا الحياة على أرضه، فهو دليل السير في هذه الحياة لإخراج أفضل ما عند البشر وكبح أسوأ ما عندهم بما يضمن حلًّا لكثيرٍ من مشاكلهم وضماناً لوصولهم إلى حياة طيبة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا جاءت أهمية القرآن التشريعية في وضع الأحكام والقوانين التي تضمن سير الحياة نحو الأفضل في جميع مجالاتها، فلندع القرآن يُعرفنا بتشريعاته.

القرآن يعرف بتشريعاته

إنّ دليل استخدام أي جهاز، لا يكتسب عادة قيمته إلا من خلال أمرين أساسيين: الأول أن يكون صادراً عن الشركة المصنعة لهذا الجهاز، والأمر الثاني كونه مطابقاً لرقم المنتج ورقم الإصدار لهذا الجهاز، وإلا فلا فائدة من هذا الدليل.

وإذا تأملت في الأمر قليلاً سهل عليك استخلاص أن القرآن الكريم يكتسب أهميته، وسلطته التشريعية من كونه رباني المصدر، صادراً عن خالق الكون سبحانه، ومن كونه التشريع الأخير الذي يناسب كل زمان ومكان، وذلك بدلالة إعجازه الذي تحدثنا عنه في الصفحات الأولى من هذا الكتاب . وإلى جانب القرآن، هناك ثلاثة مصادر أخرى اتفق الفقهاء على كونها من مصادر التشريع الإسلامي ، وسوف نتعرف في الصفحات الآتية على مصادر التشريع المتفق عليها.

نشاط

استنتج العلاقة بين كون القرآن معجزاً وكونه مصدراً تشريعياً.

المصدر الأول: القرآن نفسه

إن الذي جعل القرآن الكريم المصدر التشريعي الأول هو الله تعالى، ويؤكد القرآن هذا المعنى؛ فاقرأ معي الآيات الآتية وتفكر في معناها:

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ [السجدة: ١ – ٣]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]

- ماذا تفهم من هذه الآيات؟
- من أنزل هذا القرآن ولماذا أنزله؟
- إلى ماذا يهدي هذا القرآن؟
- "التي هي أقوم" هل تشمل كل نواحي الحياة؟

أنزل الله تعالى هذا القرآن ليهدي البشر إلى أقوم طريق يسلكونه في هذه الحياة، فهو أول مصدر تشريعي ينظم حياتهم ويفصل في خلافاتهم، فعن معاذ بن جبل أحد الصحابة ﷺ أن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن، فقال: «كيف تقضي؟»، فقال: أقضي بما في كتاب الله..... وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله» [رواه الترمذي بسند منقطع برقم ١٣٢٧]. ولو تأملت القرآن الكريم وقرأته بتدبر وتمعن لوجدت أنه اشتمل على مواضيع تشريعية راعت أغلب مناحي الحياة، فلندع القرآن يخبرنا عن أنواع الأحكام التي تكلم عنها:

أنواع الأحكام في القرآن وأمثلة عليها

- **أحكام العبادات**
  (و هي المسؤولة عن تنظيم العلاقة مع الله تعالى بصفته مالك الملك سبحانه وتعالى)
  - ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨، ٧٩]
- **أحكام الأسرة**
  (بوصفها أصغر مجموعة في المجتمع)
  - ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]
    والخطاب هنا عن حُسْن التعامل مع الزوجة
- **أحكام المعاملات الماليّة**
  (بصفة المال عصبًا رئيسًا في الدولة)
  - ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ﴾ [البقرة: ٢٨٣]
- **أحكام السياسة الداخلية**
  - ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]
  - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]
- **أحكام السياسة الخارجية**
  - ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]
  - ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١]
- **أحكام الجرائم والعقوبات**
  - ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٨]

ناقش

- **ماذا** تستنتج من تعدد أنواع الأحكام في القرآن الكريم؟
- **ما** العلاقة بين كون القرآن هادياً وبين هذه المواضيع؟
- **حاول** المقارنة بين مواضيع الدساتير الوضعية للبلدان وبين مواضيع القرآن الكريم، ماذا تستنتج؟

المصدر الثاني: السنة النبوية

ربما تتساءل في نفسك، إذا كان القرآن في تنوع أحكامه شاملاً لكل مناحي الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية أفلا يعني هذا أنّ مهمّة الرسول محمَّد ﷺ كانت مقتصرة على تبليغ القرآن ونقله إلينا، ولا شأن له بالتشريع وأموره أبداً؟

سيجيب القرآن عن هذه المسألة بآيتين اثنتين، تحددان طبيعة العلاقة التشريعية ما بين القرآن والنبي محمد ﷺ، اقرأ معي بتدبر وتفكر:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]

- ماذا تفهم من هاتين الآيتين؟
- من المخاطَب في الآية الأولى؟
- ما مهمة النبي ﷺ بحسب الآية الأولى؟
- بماذا أمر الله تعالى المؤمنين في الآية الثانية؟
- من خلال هاتين الآيتين ما الصفة التشريعية للنبي ﷺ؟

لقد أعطى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ صفة تشريعية مبيِّنة ومكمِّلة للقرآن الكريم، وأُطلق على ما صدر من أحكام عن النبي ﷺ مصطلح السنة النبوية، ويمكن تعريف السنة النبوية بأنها كلّ ما صدر عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعلٍ، بل وحتى ما صدر عن بعض الصحابة في زمانه من قول أو فعل وأقرّهم عليه، واحتلت السنة النبوية المرتبة الثانية بعد القرآن في تشريع الأحكام، وتتحدد مهمة النبي محمد ﷺ التشريعية في مجالين اثنين:

الأول: شرح الأحكام التي جاء بها القرآن وتفصيل مجملها، وذلك مثل تفصيل كيفية الصلاة والحج وأحكام الصوم وغيرها، إذ إنّ القرآن لم يتعرض لهذه التفاصيل، بل اكتفى في كثير منها بالنص على فرضها وإيجابها على الأمة، أما تفصيلها فلم يأت إلا من خلال السُنّة النبوية الشريفة.

الثاني: سن أحكام ووضع قوانين جديدة لم يأتِ القرآن على ذكرها، إذ إنه لمّا جاء الخطاب القرآني من الله تعالى بإعطاء الصلاحية للنبي ﷺ بالتشريع، أصبحت أحكاماً قرآنية نظراً لكون القرآن أمر باتباع النبي ﷺ.

عن أبي هريرة ﷺ **قال: «نهى النبي** ﷺ **أن تُنكَح المرأة على عمتها، والمرأةُ وخالتُها»** [رواه البخاري برقم ٥١١٠]

- ماذا تفهم من الحديث السابق؟
- هل يجوز أن يجمع الرجل بين زوجتين إحداهما عمة الأخرى أو خالتها؟ ولماذا؟
- هل في القرآن الكريم آية تدل على أن الجمع بينهما لا يجوز؟
- حاول أن تبحث عن بعض الأحكام التي شرعتها السنة النبوية ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم، ولخصها في بحث وشاركه مع أصدقائك.

إثراء

المصدر الثالث: الإجماع

ستقول لي: إذا كان المصدران التشريعيان هما القرآن والسنة، فمن أين جاء الصحابة بجواز جمع القرآن على هيئة مصحف واحد كالموجود بينا اليوم، ولم يكن موجوداً بهذا الشكل على زمن النبي محمد ﷺ ؟

سيكون الجواب حينها: إنَّ الصحابة اتفقوا جميعهم على هذا الأمر.

ستقول: حسناً.. وماذا يعني اتفاقهم؟ ومن الذي قال إنّ اتفاقهم يعتبر مصدراً تشريعياً؟!

يجيب القرآن هنا بأنه هو من أعطى هذه المنزلة لاتفاقهم، اقرأ هذه الآية بتدبر:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾

[النساء: ١١٥]

- ماذا تفهم من هذا النص؟
- ما هو سبيل المؤمنين؟
- ما عاقبة من يخرج عن كلمة جماعة المؤمنين؟
- لماذا شدد الله العقاب على من يشق كلمة المسلمين؟

إن اتفاق جماعة علماء المسلمين على حكم مسألة يعد ملزماً للأمة وعليهم اتباعه، ومن يخالف وحدة كلمة المسلمين وهو المعبّر عنه هنا بـ "سبيل المؤمنين" فإنّ الله قد أعدّ له عذاباً شديداً.

ولذلك كان اتفاق الصحابة ومَن بعدهم من مجتهدي الأمة في كل عصر من العصور مصدراً تشريعيًّا ثالثاً بعد القرآن والسنّة ويُطلَق على هذا الاتفاق وهذا المصدر اسم " الإجماع "، ويطلق لفظ المجتهد في الاصطلاح التشريعي على من اجتمعت فيه الصفات الآتية:

١- **الإسلام والعدالة**، بأن يُشهد له بالنزاهة وحسن الأخلاق .

٢- **العلم بكتاب الله وبالسنة النبوية .**

٣- **العلم بقواعد أصول الفقه:** وهو العلم الذي يُوضِّح منهجية استنباط الأحكام من الآيات والأحاديث .

٤- **العلم بقواعد اللغة العربية .**

٥- **العلم بمقاصد الشريعة:** أي الغايات التي جاءت الشريعة من أجلها .

ناقش

اجتماع العلماء المجتهدين على حكم مسألة لم ينص عليها القرآن والسنة والنبوية يعني بالضرورة أن عقول أولئك العلماء توافقت على سبب مقنع لهذا الحكم.

● **ناقش** هذه المسألة وبين رأيك في ضرورة وجود مثل هذا السبب.

بالعودة إلى قضية جمع القرآن الكريم في مصحف واحد اذكر بعض الأسباب التي أدت إلى إجماع الصحابة على جوازه.

ارجع إلى كتاب «**العلاقات الاجتماعية في الإسلام**» من هذه السلسلة، وانظر كيف حثَّت السُّنَّة النبوية الشريفة الإنسان المسلم على القيام بواجباته.

الخلاصة

إن إجماع المجتهدين وتوافق عقولهم على حكم مسألة ما سكت عنها القرآن والسنة النبوية راجع إلى مهارتهم وخبرتهم وباعهم الطويل في تعليل الأحكام والاطلاع على حكمة تشريعها، فإذا ظهر للمجتهد بعلمه ما يوافق هذه الحكمة في مثل هذه المسألة أفتى بما يناسب تلك الحكمة وإذا وافقه كل المجتهدين في عصره كان إجماعاً ملزماً .

المصدر الرابع: القياس:

ربما تسأل عن الأمور الجديدة المستحدثة، مما لا نص فيها في قرآن ولا سنة، كشرب أنواع الكحول في وقتنا الحاضر والتي تختلف عن الخمر التي كانت في عهد النبي ﷺ فكيف لعلماء الأمة أن يعرفوا حكم شربها؟

يجيبك القرآن عن ذلك أيضًا، فاقرأ الآية الآتية بتدبر شديد، يقول الله تعالى:

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾

[النساء: ٥٩]

- ماذا تفهم من الآية؟
- ما المرجع في فض النزاع إن حدث بين المسلمين؟
- إن طرأت مسألة جديدة لا حكم لها في القرآن والسنة كيف يتصرف العلماء؟
- ماذا يعني رد حكم المسألة إلى الله والرسول؟

عند تأملك للآية تفهم أولاً أن أي مسألة تطرأ على المسلمين يجب البحث عن حكمها في القرآن والسنة، فإن لم نجد فيهما نصاً عليها وجب رد هذه المسألة إلى مسألة تشبهها في أحد صفاتها أو خصائصها وقد حكم فيها القرآن أو السنة وهو ما يسمى "القياس" وهو المصدر التشريعي الرابع في الإسلام.

ولتقريب الصورة أكثر يمكنك أن تسأل:

ما حكم شرب الكحول المنتشر هذه الأيام؟

ما الفرق بينه وبين المياه الغازية وكلاهما جديد مستحدث لم يكن في عهد النبوة؟

الجواب: المياه الغازية لا شبيه لها في المشروبات القديمة إلا الماء نفسه، فتأخذ حكمه فتكون حلالاً، وأما الكحول فلا تشبه الماء لكنها تشبه الخمر الذي حرم القرآن شربه على المسلمين بسبب الآثار المترتبة عليه من السكر وذهاب العقل،

والكحول أيضاً تؤدي إلى السكر وذهاب العقل والآن يمكن أن نستنتج ونعرف حكم المشروب الجديد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة: ٩١]

- ما العلة التي لأجلها حرم الله تعالى الخمر على المسلمين؟
- لماذا يؤدي شرب الخمر إلى البغضاء والعداوة؟
- كيف يؤثر الخمر على المسلم فيصده عن صلاته وذكر ربه؟

أنت تعلم أن شرب الخمر يؤدي إلى السُّكْر ويذهب العقل، وإذا ذهبت المحاكمة العقلية عند الإنسان ذهبت معه السيطرة على نفسه فيتسبب بمشاكل كبيرة لنفسه؛ فيشغله عن طاعة الله وعبادته، ولمجتمعه؛ فيحوله من فرد عاقل يسعى للبناء والإصلاح إلى سكران يقوم بالهدم والإفساد، فكل ما يؤدي إلى هذه النتيجة له حكم الخمر ذاته؛ لأن المقصود من تحريمها تجنب أثرها، وهذا الأثر موجود في شرب الكحول، فيقتضي هذا تحريم شرب الكحول كله، وهذه الآلية في استنتاج الحكم تسمى القياس وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع الإسلامي.

ناقش

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠]

- **ماذا** تفهم من هذه الآية؟
- **ما** حكم أكل مال اليتيم ظلماً؟ ولماذا؟
- **ما** عاقبة من أكل مال اليتيم ظلماً؟
- **ما** رأيك بمن أتلف مال اليتيم بدون وجه حق؟ علل رأيك.

إثراء

عن عائشة ﵂ قالت: قال النبي ﷺ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ» [رواه البخاري برقم ٢٤٢]

- من خلال هذا الحديث تبرُز مكانة السنة التشريعية، وضِّح ذلك؟
- ما حكم شرب القليل من " البيرة" وإن كانت لا تؤثر على غياب العقل أبدًا؟

الخلاصة

علمت من خلال ما سبق أن للإسلام مصادر تشريعية أربعة متفق عليها، يلجأ إليها العلماء في الدرجة الأولى لمعرفة أي حكم في أي مسألة ، وهي مع استقلالها إلا أن أصلها القرآن ، لأنه هو الذي أعطى بقية المصادر صلاحيتها في التشريع وإعطاء الأحكام، وهو يدلُّ بداهةً على أنّه لا يتصور أن يصدر عنها حكم مخالف لأحكام القرآن، ويدل أيضا على أنّ لها ترتيباً في مكانتها من حيث القوة في الاحتجاج وإثبات الأحكام وهي على الترتيب الآتي: القرآن - السنة النبوية - الإجماع - القياس.

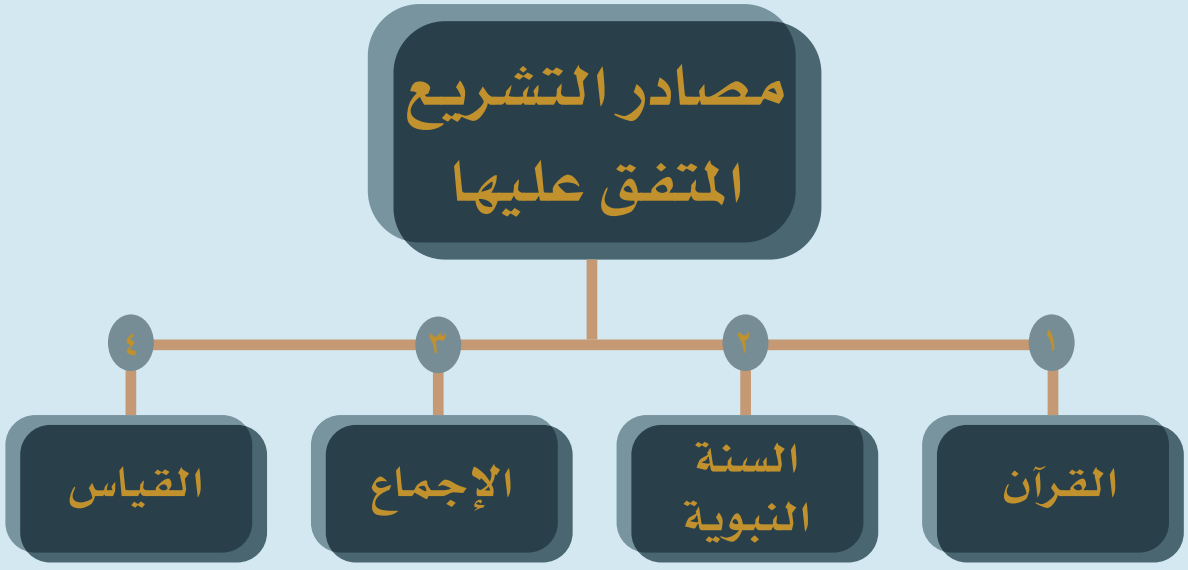

مصادر التشريع المختلف فيها

ومن هذه المصادر: الاستحسان والمصلحة المرسلة والعرف.

الاستحسان:

الاستحسان في حقيقته لا يخرج عن مفهوم القياس في شيء، ودليله من القرآن هو دليل القياس ذاته. وسُمِّيَ استحساناً ولم يُسَمَّ قياساً لأنه قياسٌ خفيّ، وهو أحسن القياسين، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨]

ولابد من مثال يوضح المقصود، تمعن في هذا الحديث النبوي الشريف؛ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ فَأَكْلُهُ حَرَامٌ» (رواه مسلم برقم ١٩٣٢).

- ماذا تفهم من الحديث؟
- ما العلة في النهي عن أكل السباع ذات الناب؟
- هل يدخل في النهي سباع الجو كالنسر؟

نهى النبي ﷺ عن أكل كل حيوان مفترس يقطع فريسته بأنيابه وينقض عليها، وقاس بعض العلماء على حرمة أكل لحمه؛ حرمة سؤره ، والسؤر هو الماء الذي شرب منه الحيوان، فلو شرب أسد من إناء فيه ماء فإنّ هذا الماء الباقي في الإناء ينجس عند أغلب الفقهاء لأن لُعاب ذلك الأسد خالط الماء، ولا يمكن استخدام هذا الماء نتيجة ذلك لغسل أي شيء، و هذا

التحريم، جاء من القياس، فلا نصَّ من القرآن أو السنَّة يُفيد هذا الحكم، وإنَّما قال العلماء به بناءً على القياس، فهم قالوا : إذا كان اللحم نجساً لا يجوز أكله، فالأولى أن يكون لُعابه وهو حيٌّ نجساً كذلك، لأنّه متولِّدٌ وناتجٌ عن ذلك اللحم، وهذا قياسٌ ظاهرٌ ذكرناه كمصدرٍ تشريعيٍّ رابع، لكن هل سؤر النسر له حكم سؤر الأسدً؟

النسر من الجوارح أي السباع وأكله حرام، والقياس الظاهر يقتضي أن يكون سؤره نجسًا كالأسد، لكن العلماء لم يقولوا بهذا لأنَّ الأسد يشرب بلسانه وشفتيه فيختلط اللعاب بالماء فينجسه، أمَّا النسر فيشرب بمنقاره وهو عظمٌ لا رطوبة فيه ولا لعاب، وبسبب هذا تركوا القياس الأوَّل الذي يقتضي التحريم، وأخذوا بقياسها على العظم، وهو القياس الثاني، فحكموا بعدم نجاسة سؤر السباع مِن الطيور لسببٍ وجيه قويٍّ.

المصلحة المرسلة:

قد تتساءل : ماذا لو استجدت حادثة ليس فيها دليل من القرآن ولا السنة ولم يقم أي إجماعٍ قديمٍ أو جديد عليها، ولا مثيل لها للقياس عليها قياسًا جليًّا أو خفيًّا، بماذا يستدل العلماء على حكمها؟

يجيبك القرآن عن ذلك بقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]

ماذا تفهم من هذه الآية؟

ما علاقة هذه الآية بمصادر التشريع؟

إذا كان التيسير من مراد الله بهذه الأمة فكيف يمكن أن يعتمد العلماء عليه في ملاحظة الأحكام في الحوادث المستجدة التي ليس لها مثيل من قبل؟

إن الله تعالى يشير بهذه الآية على العلماء والمجتهدين أن يتبعوا سبيل التيسير في ملاحظة الأحكام ، وهو ما أطلق عليه العلماء اسم "المصلحة المرسلة" وهي واحدةٌ من مصادر التشريع التبعيّة، يمكن تعريفها بأنها أمرٌ لم يقم دليل على قبوله ولا على رفضه وفيه مصلحة للناس ونفعٌ كبيرٌ لهم. فالقرآن يقول في حال لم يوجد دليل على حكم الإباحة أو التحريم في أمر ما فيه مصلحة للناس ولا ضرر فيه، فإن الحكم هو القبول حينها، وذلك من منطلق اليسر الذي يريده الله بهذه الأمة.

ولكن لا يمكن اعتبار المصلحة المرسلة أمراً مقبولاً إلا إن توفرت فيها ضوابط وشروط ثلاثة وهي:

أن تكون مصلحة حقيقية لا وهمية، و ذلك بأن تكون ذات نفع فعلاً

أن تكون مصلحة عامّة كليّة لجميع الناس، و ليست مصلحة جزئية شخصية

ألا يعارض التشريع لهذه المصلحة حِكماً ثبت بأحد المصادر التشريعية الأربعة، لأننا لا نلجأ إلى قولنا بالمصلحة إلا عند عدم وجود الأدلة

العرف:

ويتبادر هنا سؤال: ماذا لو كان الناس في بيئة ما، قد درج بينهم أمرٌ ما في التعامل فيما بينهم، كلبس شيء معيّن أو تناول نوع من المأكولات، ولم يجدوا أي دليلٍ من القرآن والسنة أو الإجماع أو القياس، يمكن أن يُفيدهم بشكل مخصوص على هذا اللباس الذي لديهم أو تلك الأكلة التي يُفضِّلونها. فما الحل حينها؟

يجيب القرآن أيضًا عن ذلك بقوله:

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾

[الأعراف: ١٩٩]

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- كيف يكون الأمر بالعرف؟
- ما قيمة العرف في الشريعة الإسلامية؟
- هل كل عرف تعارف عليه الناس يمكن الاعتماد عليه كدليل للأحكام؟ ولماذا؟

إن القرآن يجيبك بأن العرف مقبول شرعاً، بل ويُعد أحياناً مصدراً من مصادر التشريع التبعيّة. وحاله هنا كما المصلحة المرسلة، مقيّدٌ بشروط يجب أن تتوافر فيه حتى يكون ذا صفةٍ تشريعية، وهذه الشروط هي:

إثراء

بعد اطلاعك على مفهوم المصلحة والعرف، فإلى أيٍّ منهما تنتمي الأمور الآتية:

- **تقسيم** المهر الذي يدفعه الزوج لزوجته في بعض البلدان الإسلامية إلى معجّل عند عقد الزواج أو عند الدخول بالزوجة، ومؤخّر إلى حين وقوع الطلاق أو موت أحد الزوجين.
- **إقامة** مسابقات دولية ومحليّة لحفظ القرآن الكريم.

فالعرف إذن مصدرٌ من مصادر التشريع، حتى أنّ العلماء بناءً على كونه مصدراً تشريعياً، ذهبوا إلى وضع قاعدة تؤكّد على أهميته، وذلك حين قالوا: " تتغير الأحكام بتغير الأزمان" . وإنّ لأحكام التي تتغير في العرف هي الأحكام التي ثبتت به، من ذلك مثلاً: بعض المجتمعات اليوم تقسم المهر إلى معجّل ومؤخر، ولم يكن الناس يقبلونه في الأزمان الماضية بل كانوا لا يقبلون سوى بالمهر المعجل كاملاً، بخلاف وقتنا الحاضر، الذي أصبح فيه من الغريب طلب تعجيل المهر كله، والحق أنّ هذه المسألة سواء في التعجيل أو التقسيم إلى معجّل ومؤخر، لا تصادم أي نصٍّ شرعي من القرآن أو السنة، ولذلك كان للعرف مدخل في هذا الحكم تغيراً وتعديلاً.

القرآن الكريم مصدر تشريعي صالح لكل زمانٍ ومكان، وعلى الرغم من أنه لا ينص على أحكام جميع المسائل، لكنه بإعطاء صلاحية التشريع للسنة النبوية والإجماع والقياس والاستحسان والمصلحة المرسلة والعرف وغيرها أحاط بجميع المسائل فلا يفوته شيء من مستجدات الحياة وحوادثها التي تحتاج إلى أحكام شرعية، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (الأنعام: ٣٨) فمنظومة التشريع القرآنية تجعلها صالحة لكل زمانٍ ومكان وهو أمرٌ لم تحتويه أفضل القوانين على مدى التاريخ، بدلالة كثرة تبدلها وتغيرها، وبدلالة الواقع على عجزها في كثير من الأحيان عن حلّ مشاكل نراها اليوم، بل إنّ هذا القوانين قد لا تسبب إلا زيادةً في تلك الأزمات، بينما حوى القرآن نظامًا كاملًا يضمن -في حال طبّق التطبيق الصحيح الكامل- الحل لأكثر تلك المشاكل والأزمات، وهو أمرٌ لا يحتاج سوى لنظرة منصفة و إرادة صادقة في تحويل هذا الأمر إلى واقع، لإثبات صدق هذه الصلاحية ، وهذا من أعظم الأدلة على الإعجاز التشريعي للقرآن.

الخلاصة

التقويم

١ ضع اسم المصدر التشريعي المناسب للأحكام الآتية التي ثبتت بها:

١. جمع القرآن الكريم

.....

٢. أفعال الصلاة والحج

.....

٣. تقسيم مهر الزواج إلى معجل ومؤخر

.....

٤. طهارة سؤر الجوارح من الطيور

.....

٥. نجاسة سؤر سباع البر

.....

٢ رتب المصادر التشريعيّة من الأعلى إلى الأدنى:

الإجماع - السنة - القياس - القرآن - الاستحسان

٣ صِل بين كل آية من الآيات الآتية، والمصدر التشريعي الذي تدلُّ عليه:

الآية	المصدر التشريعي
١ . ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]	( ) السنة
٢ . ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]	( ) المصلحة المرسلة
٣ . ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]	( ) القياس

القرآن والأخلاق

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتعرف على الأخلاق الفردية التي أمر بها أو نهى عنها القرآن.
- يتعرف على الأخلاق الأسرية التي أمر بها أو نهى عنها القرآن.
- يتعرف على الأخلاق المجتمعية التي أمر بها أو نهى عنها القرآن.
- يتعرف على الأخلاق التي أمر بها القرآن في التعامل مع الله عز وجل.
- يتعرف على الأخلاق التي أمر بها القرآن في التعامل بين الدول.

تمهيد

تخيل لو أنَّ شخصاً خبيراً بالكيمياء، ولم تُسعفه الظروف سوى أن يكون موظفاً حكوميًّا براتب شهريٍّ محدود، ومن ثم أُصيب بمرض عضال، وتوقف خضوعه لعملية جراحية على مبلغ كبير ولم يرَ سبيلاً إلى ذلك المبلغ إلا بأن يستغل موهبته وخبرته الكيميائية في تصنيع المخدرات ليستطيع تغطية تكاليف علاجه من مرضه الذي أُصيب به.

كيف تنظر إلى فعله؟ هل تتعاطف معه في محنته هذه، وتتغاضى عن موقفك من المخدرات والمتاجرة بها؟ ألا يعد تعاطفك معه تنازلاً أخلاقياً؟!

ماذا لو شُفِي من مرضه، لكنه افتتن بأرباح المخدرات فظل مستمراً في صناعتها فهل ستظلّ على تعاطفك السابق معه؟

ماذا لو علمت أن تلك المخدرات التي صنعها تسببت بوفاة شاب صغير لا يتجاوز عمره أربع عشرة سنة نتيجة جرعة زائدة؟ كيف ستنظر إلى فعلته التي عذرته فيها قبل قليل؟

ما سبب تغير الحكم الأخلاقي والتعاطف في الحالتين؟

ما رأيك؟ هل يعد اختلاف الموقف طبيعياً أم أنّ الطبيعي الثبات على موقفٍ واحد لا يتغيّر أمام تلك الحالات كلها؟

من تسأل عن تقويم هذه الحالات؟ ومن تستشير لتعلم صواب موقفك من خطئه؟

للجواب عن هذا نحتاج إلى خبير بطبيعة النفس البشرية وتقلباتها ليضع معياراً يمكن أن يتفق عليه الجميع. ولا يقدر على هذا غير الله سبحانه؛ العليم بخلقه الحكيم بصنعه، قال الله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤] فالله وحده يملك الحق في تقرير المعيار الأخلاقي الذي يمكن أن يصلح للبشر جميعهم في مختلف حالاتهم.

القرآن مصدر الأخلاق في الإسلام

إنّ البحث عن قانون أخلاقي عام أمر بديهي تفرضه الضرورة الوجودية، ويمكن للعقل البشري والنفس الإنسانية أن تصلَ إلى ذلك القانون الأخلاقي وبه يستطيع الإنسان أن يعرف أصول الخير والشر من تلقاء نفسه.

تأمل معي قول الله تعالى في الآيات التالية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]

وقوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٧ - ٩]

وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠]

ماذا تفهم من هذه الآيات؟

كيف يمكن فهم قوله تعالى ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ عند جمعها مع قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ ؟

بعد قراءة هذه الآيات، ما جواب السؤال: هل بإمكان الإنسان أن يعرف الخير والشر بنفسه؟

يقرر القرآن أن الله قد طبع بفطرة الإنسان الاستعداد للخير والشر، وهو يعني بطبيعة الحال قدرته فعلاً على تمييز أصول الخير والشر من تلقاء نفسه، لكننا مع ذلك نرى أناساً كثيرين اليوم قد اختاروا طريق الشرّ وممارسة الأعمال السيئة، فإلى أي سببٍ يعود ذلك؟

ما أجاب به القرآن أنّ الإنسان لديه القدرة على تمييز الخير والشر بفطرته التي أودعها الله فيه، وهو أمر يشترك به جميع الناس، مؤمنهم وكافرهم، إلا أنّ هذه الفطرة قد تتعرض لمؤثرات تحجبها عن هذا التمييز وهنا تظهر أهمية القرآن على المستوى الأخلاقي، أي على مستوى إرشاد الناس إلى الخير والشر.

وقد أكد القرآن ذلك بقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١]

ما العلاقة بين كون القرآن نوراً وبين دلالته على الخير والشر؟

إذا قلنا إنّ القرآن هو مصدر الأخلاق، فما وجه العلاقة بين ذلك وبين قول النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» (رواه أحمد برقم ٨٩٥٢، وصححه الألباني) على ضوء ما تعلمته عن مصادر التشريع؟

إذا علمت أنّ القرآن قد نهى عن أي إضرار بالآخرين أو عن المساعدة على ذلك حين قال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وإذا كان هذا الحكم مُطلقاً، فبماذا ستحكم على قصة الكيميائي الموظف التي ذُكِرت في تمهيد المحور في مختلف حالاتها؟

إن كلا النورين: نور الفطرة ونور الوحي، ينبثقان من مصدرٍ واحد، وهذا يعني أنّ الله تعالى هو الذي يرشدنا دائماً ، ومن هنا كان الإلزام الأخلاقي في الإسلام قانوناً عاماً يصلح لجميع البشر في مختلف حالاتهم وظروفهم، سواء كانوا أفراداً أو أسراً أو دولاً، وهو ما سندع القرآن يعرض لنا نماذج منه توضح ذلك.

الخطاب الأخلاقي في القرآن للفرد المسلم

اقرأ بتمعن قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠، ٣١]

ماذا تفهم من هذا النص؟

ما الأمر الأخلاقي الذي أمر الله به في هذا النص؟

ما الحكمة بتذييل الآية التي فيها الأمر بغض البصر بقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ؟

كيف يساهم هذا الاقتران بين الأمر الأخلاقي والتأكيد على رقابة الله تعالى على الالتزام بالأمر الأخلاقي؟

قارن بين حالة الأمر الأخلاقي عند تجريده من فكرة الرقابة القانونية وبين حالته مع فكرة الرقابة الإلهية من حيث القدرة على التفلت من الأمر.

وجِّه القرآن الكريم الفرد المسلم إلى جملة من الأخلاق الحميدة، ورسخ مع الأمر بها فكرة الرقابة الإلهية على هذا الفرد، ليلاحظ مراقبة الله تعالى له في تصرفاته فيلتزم بتلك الأخلاق ويتعود عليها حتى تكون سجية لديه، ففي الآيات السابقة أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالعفة وأمر بدواعيها وهي الستر وغض البصر، وذيَّل الأمر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ أي أنه خَبِيرٌ بأفعالهم وأحوالهم، وكيف يجيلون أبصارهم، وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم، فعليهم- إذ عرفوا ذلك- أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون.

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾

[الكهف: ٣٩]

إثراء

ماذا تفهم من هذه الآية؟

كيف يمكن أن تساهم القصة في تعزيز وغرس القيم الأخلاقية برأيك؟

ولنذكر بعض الآيات التي احتوت على خطاب أخلاقي للأفراد:

١ الوفاء بالعهد: قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤]

٢ الصدق: يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩]

٣ التواضع وعدم الكبر: قال عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨]

٤ الأمر بالعدل والإحسان وصلة الرحم وجملة الأخلاق الحميدة والنهي عن ضدها:

يقول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠]

نشاط إثرائي

ابحث في القرآن الكريم عن آيات احتوت على خطاب أخلاقي للأفراد، وانشره بين الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ارجع إلى كتاب «**العلاقات الاجتماعية في الإسلام**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه كيف أن قيام العلاقات بين الناس وَفق الأخلاق المرتبطة بالتشريع الإلهي والعقيدة الصحيحة يضمن الاستقرار في تلك العلاقات.

الخطاب الأخلاقي في القرآن للأسرة المسلمة

يقول الله تعالى في خطابه للأزواج:
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾
[النساء: ١٩]

- **ماذا** تفهم من هذه الآية؟
- **في** الآية أمر أخلاقي فما هو؟
- **ما** نوع الأمر الأخلاقي في هذه الآية وإلى من هو موجَّه؟

وجَّه القرآن الكريم رب الأسرة إلى التزام الأخلاق في حالتي الزوجية والانفصال، في حال الرضى عن زوجته وحال الغضب، حال المحبة وحال الكره، وهو خلق الإكرام والمعاشرة بالمعروف، ونهاه عن إهانتها إن كرهها وعلل ذلك بأنه لا يعلم مَكمَن الخير، فربما كان فيما يكره.

ناقش

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ (البقرة: ٢٢٨).

- **ماذا** تفهم من هذه الآية؟
- **ما** القيمة الأخلاقية المتعلقة بالزوجين في هذه الآية؟

ولو تأملت خطاب القرآن الأخلاقي للآباء والأبناء لقرأت قول الله سبحانه في خطابه للآباء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]

وقوله عز وجل في خطابه للأبناء: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٤]

- **ماذا** تفهم من هاتين الآيتين؟
- **بماذا** أمر الله سبحانه وتعالى الآباء تجاه أبنائهم؟
- **وبماذا** أمر الأبناء تجاه آبائهم؟

حمَّل القرآن الأب مسؤولية أخلاقية في تربية الأولاد والأسرة بعامة، لينقذهم بهذه التربية من الآثام المؤدية إلى العذاب يوم القيامة، وفي المقابل وجَّه الأبناء إلى احترام الآباء وحفظ حقوقهم ومعاملتهم بتواضع وتذلل في مقابل ما قدمه هؤلاء الآباء من جهد ووقت ومال في تربية الأولاد وتنشئتهم ولهذا قال: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ .

ارجع إلى كتاب «العلاقات الاجتماعية في الإسلام» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن مفهوم الأسرة.

الخطاب الأخلاقي في القرآن للمجتمع المسلم

اقرأ معي بتدبر قول الله تعالى في ذم البخل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]

ويقول في التحذير من السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨]

- **ماذا** تفهم من هاتين الآيتين؟
- **تنتمي** الآيتان السابقتان إلى عنصر من عناصر الفعل الأخلاقي "الإلزام – المسؤولية – الجزاء" فما هو؟
- **تحتوي** الآيتان على نوعين مختلفين من الجزاء ما هما؟
- **ما** أثر الجزاء الدنيوي على المجتمع، وكيف يساهم في تعزيز الحالة الأخلاقية الإيجابية للمجتمع؟
- **كيف** يمكن أن يُفيد التكامل بين الجزاء "الدنيوي" والأخروي " في عدم الإخلال بالقيمة الأخلاقية؟

يعتبر البخل والسرقة من الأخلاق المجتمعية الفاسدة، وقد نهى القرآن الكريم عنهما. ولضمان الالتزام باجتنابهما، جعل لهما عقاباً وجزاء في الدنيا والآخرة، فأما البخل فعاقبته في الآخرة أن يُعذَّب البخيل بجنس ما بخل به بأن ينقلب يوم القيامة طوقاً حول رقبته وآلة يُعذَّب بها قال النبي ﷺ: «تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت، إذا هو لم يعط فيها حقها، تطؤه بأخفافها» [رواه البخاري ١٤٠٢]، وأما السرقة فقد

شرع الله عقوبة السارق في الدنيا بقطع يده تنكيلاً به على خلقه الفاسد الذي أفسد به في المجتمع، فإذا علم الإنسان أن عقوبة السرقة أليمة شديدة فسيخاف على يده من الفوات وعلى سمعته من الفضيحة فيلجم نفسه عن السرقة، وينتهي وينزجر عن فعلها فكان في ذلك صلاحاً له وللمجتمع.

إثراء

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ (النور: ١٦، ١٧).

- **ماذا** تفهم من هذا النص؟
- **عد** إلى الإنترنت أو تفسير الطبري، واذكر سبب نزول هذه الآية.
- **ما** الخلق الذي نهى الله عنه في هذا النص؟
- **كيف** أرشد القرآن إلى التعامل مع حالة انتشار الإشاعات ذات الأثر السلبي على المجتمع؟

الخلاصة

في إحدى غزوات النبي ﷺ التي اصطحب فيها زوجته عائشة رضي الله عنها، حدث أن أضاعت عقدها فراحت تبحث عنه فسار الجيش وظنُّوا أنها في هودجها راكبة على البعير، لكنها لما رجعت إلى مكانها لم تجدهم فانتظرت في مكانها لعلهم يفتقدونها فيرجعون، فإذا بأحد الصحابة المتأخرين عن الجيش يمر بها فيحملها على بعيره ويسير أمامه حتى لحق بالجيش، فاستغل المنافقون هذه الحادثة وخاضوا في عرض عائشة رضي الله عنها إيذاء للنبي ﷺ، فبنى القرآن على هذه الحادثة وربَّى بتوجيهه الأخلاقي نفوس المؤمنين، فأنزل براءة أم المؤمنين وسمَّى التهمة الموجهة إليها إفكاً، ووبَّخ من خاض بهذا الإفك، وأمرهم بحسن الظن، وحفظ حرمة الأعراض، وعدم نشر الإشاعات بل إماتتها في أرضها، لما فيها من آثار مدمرة على المجتمع.

ارجع إلى كتاب «**العلاقات الاجتماعية في الإسلام**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن حرمة الجار في الإسلام .

الخطاب الأخلاقي في القرآن للدولة المسلمة

الخطاب القرآني للحكام في التعامل مع شعوبهم:

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦١]

- ماذا تفهم من هذه الآيات؟
- ما الواجبات الأخلاقية التي ترشد إليها الآيات؟ وإلى من توجهها؟
- في إشارة القرآن الكريم إلى شخصية النبي ﷺ أثر مهم في التربية وتعزيز الأخلاق ما هو؟

النبي ﷺ كما هو المرجع في الشؤون الدينية هو أيضاً قائد الدولة والمجتمع، لهذا ترى الخطاب القرآني توجه إليه بهذه الصفة ليرشده ويرشد الحكام من بعده إلى واجبات أخلاقية في التعامل مع شعوبهم، وأشار القرآن إلى شخص النبي ﷺ بالخطاب خاصة لأنه القدوة التي يقتدي بها من بعده، فكأنه قال للحكام من بعد النبي: كما أن النبي ﷺ كان ليِّناً مع رعيته وكما أنه يعفو عن مسيئهم ويستشيرهم في أمر الحكم وهو غني عن هذا لأنه مؤيد بالوحي من الله تعالى، فأنتم أيها الحكام أَوْلَى بهذا، وإذا نهى الله تعالى الأنبياء كقادة للجند أن يَغُلُّوا – والغلول يعني سرقة غنائم الحرب وأخذها قبل تقسيمها- فسائر القادة أَوْلَى بأن يقفوا عند حدود هذا

النهي فلا يَغُلُّوا، وإلا تحول هذا الغلول إلى آلة للعذاب يوم القيامة.

والقرآن يخاطب الحكام بحفظ مصالح الرعية والشعب، ويذكر نماذج لأمراء وقادة كانوا صالحين مصلحين، ويذكر نماذج وأمثلة لأمراء وقادة طاغين ظالمين، ويذكر مصير كل منهما، وفي قصص القرآن أمثلة كثيرة للصنفين كليهما.

نشاط

ابحث في القرآن الكريم وتفسيره عن الأسماء التالية:(طالوت وجالوت وداود وسليمان وفرعون وقارون وهامان والنمرود) ثم صنِّفها ضمن الجدول التالي:

الاسم	مثال لحاكم عادل	مثال لحاكم ظالم	آية تدل على صدق التصنيف

إثراء

«لما أُتي عمر بتاج كسرى وسِواريه جعل يُقلبه بعود في يده ويقول: والله إنَّ الذي أدَّى إلينا هذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنتَ أمينُ الله يؤدُّون إليك ما أدَّيتَ إلى الله فإذا رَتَعْتَ رَتَعُوا. قالَ: صَدَقْتَ» [رواه البيهقي في السنن الكبرى: ١٣٠٣٣]

وفي رواية: فقال له علي بن أبي طالب: «يا أمير المؤمنين عففت فَعَفُّوا ولو رَتَعْتَ لَرَتَعُوا»

ما وجه الربط بين هذه القصة وموضوع الآيتين؟ وكيف يمكن الاستفادة من ذلك في الجانب الأخلاقي؟

الخطاب الأخلاقي في القرآن للشعوب في التعامل مع حكَّامها :

قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[الأنفال: ٤٦]

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ما المقصود بالتنازع هنا؟
- ما علاقة الصبر بالنهي عن التنازع؟
- ما عاقبة التنازع في الدنيا؟

وجَّه القرآن خطابه للشعوب بأن يطيعوا أمراءهم ويلتفوا حولهم ، ونهاهم عن خُلُق المنازعة فلا ينازعوهم الملك ولا يخرجوا عليهم؛ لأن منازعتهم وعدم طاعتهم يفرق وحدة الدولة ويَفُتُّ في عضدها، وهذا أول أسباب الضعف والفشل، وإذا ذهبت القوة وهو المقصود بقوله (ريحكم) سقطت الدولة.

الخطاب الأخلاقي في القرآن للمسلمين في التعامل مع الدول والشعوب الأخرى:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨]

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ما الخلق الذي أرشدت إليه الآية؟
- ما عاقبة من التزم بهذا الخلق؟

نظم القرآن العلاقة بين الدولة المسلمة والدول الأخرى على قاعدة أخلاقية حميدة مفادها: من لم يظلمكم ولم يقاتلكم ولم يناصبكم العداء فلكم أن تعاملوه بخُلُق البر والإحسان والعدل، لأنها من صفات الله سبحانه والله تعالى يحب من يتخلق بها.

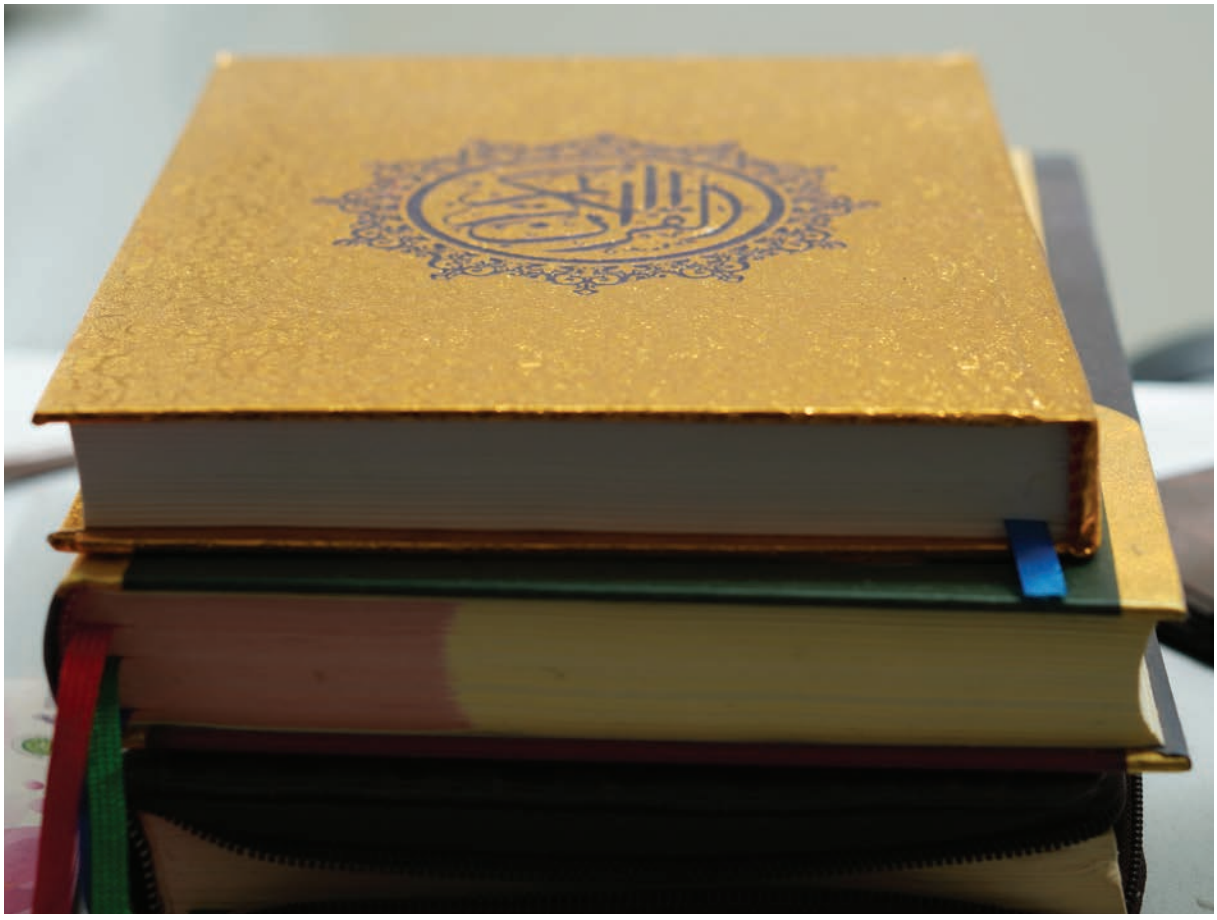

خطاب القرآن في تنظيم علاقة العبد بربه

نظم القرآن الكريم العلاقة بين الإنسان وربه فأرشده إلى جملة من الأخلاق الحميدة؛ كالرضا بقضاء الله والصبر عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]

وكالتوكل على الله؛ قال سبحانه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠]

ونهاه عن أخلاق قبيحة كاليأس من رحمة الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧]

- ماذا تفهم من هذه الآيات؟
- ما علاقة الرضا والتوكل بالأخلاق الدينية؟
- لماذا عد الله سبحانه وتعالى اليأس من رحمته من صفات الكافرين؟

إن الدنيا دار ابتلاء يمتحن الله سبحانه وتعالى بها عباده، لذا أرشدهم إلى التخلق بخلق الصبر لينجحوا في هذا الامتحان، ودلهم على خلق التوكل عليه في معاركهم وحروبهم لينالوا النصر، فإن اشتد بهم الكرب والضيق حذرهم ونهاهم عن خلق اليأس من رحمته؛ لأنه قد يؤدي إلى الكفر إن كان بسبب إنكار سعة رحمة الله وإساءة الظن به .

ناقش

عنْ عائشة رضي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّه ﷺ الْقُرْآنَ» (رواه مسلم برقم ٧٤٦).

- في ضوء فهمك للنماذج المتقدمة من الأخلاق التي أرشد إليها القرآن وشمولها لكل نواحي الحياة، كيف يمكن أن تفهم جواب السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي ﷺ.

.....

.....

.....

خلاصة

إنّ ما مرّ من النماذج والأمثلة القرآنية في الخطاب الأخلاقي يُشير إلى خصائص مهمة لذلك الخطاب يمكن إرجاعها إلى ثلاث نقاط أساسية:

١. ***الارتباط الوثيق بين العقيدة الدينية – الإيمان – وبين النظام الأخلاقي، ويظهر ذلك في:***
   أ. ***ربانية النظام الأخلاقي وأن مصدره الله تعالى، وهو ما يمنحه صلاحية شاملة لمختلف الظروف والحالات.***
   ب. ***الارتباط بين الأوامر الأخلاقية وصفات الله تعالى التي تعزز فكرة الرقابة الإلهية، والأثر الإيجابي لتلك الرقابة على تقويم الخلق، وهو أمر لا تجده في أي نظام أخلاقي آخر من وضع البشر.***
   ت. ***العلاقة المهمة بين الأمر الأخلاقي والجزاء الأُخروي مما يُعطي القيمة الأخلاقية بُعداً يتجاوز الحياة الدنيا ويجعل الإنسان يمارس الفعل الأخلاقي من أجل منزلة أكبر في الآخرة أو الحذر من عقاب شديد فيها.***

٢. ***تأكيد القرآن على أهمية المسؤولية الفردية في مجال الأخلاق، سواء فيما يخص الفرد نفسه، أو المجتمع ككل، كمسؤولية الفرد عن توقف نشر الإشاعات السلبية.***

٣. ***تعدد أساليب القرآن الكريم في غرس المبادئ الأخلاقية وتعزيزها ولاسيما تلك التي ترتبط بالتجربة والواقع كاستثمار حادثة الإفك.***

التقويم

١ علل ما يلي:

١. القرآن هو المصدر الأخلاقي الوحيد الذي يقدّم معياراً أخلاقياً موضوعياً مطلقاً.

٢. استخدام القرآن لأسلوب التربية بالقدوة في عرضه للمسائل الأخلاقية.

٣. وجود القرآن كمصدر أخلاقي، رغم أنّ الله تعالى قد أودع في الناس أصول التمييز بين الخير والشر بفطرتهم.

٢ صحح الخطأ في العبارات الآتية:

١. ( ) العلاقة بين الأمر الأخلاقي والجزاء هو أمرٌ محصور في الجزاء الدنيوي.

.....

.....

٢. ( ) استخدم القرآن أسلوباً واحداً فقط في طرح القضايا الأخلاقية.

.....

.....

٣. ( ) أسلوب القرآن الكريم في عرضه للأخلاق كان يركز على مخاطبة العقل وحده.

.....

.....

٤. ( ) الآيات التي دلت على وجوب التوكل على الله، هي مثال عن الخطاب الأخلاقي للحكام.

.....

.....

٣ اربط بين الآيات القرآنية والجهة التي وجهت إليها:

الآية	الجهة المخاطَبة
١. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾	( ) الفرد في واجبه تجاه المجتمع
٢. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾	( ) الأسرة
٣. ﴿وَلَا تَأْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾	( ) الفرد في واجبه تجاه الله
٤. ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾	( ) النبي ﷺ ومن بَعده الحكام

الخاتمة

في نهاية رحلة هذا الكتاب فإن المسلم يدرك أنَّ القرآن هو كلامُ ربِّه المنزل لهداية البشرية، وتعظيمه له من تعظيمه للمتكلم به سبحانه وتعالى، وعلى المسلم واجبات إزاء كلام الله القرآن، ولعل من أهمها:

- ❖ قراءته وتدبر آياته وتعلمه وتعليمه
- ❖ الأدب معه، وتعظيمه.
- ❖ التخلق بأخلاقه والعمل بأوامره ونواهيه.

أولاً: قراءة القرآن والتّدبُّر والتَّفكُّر في معانيه وتعلمه وتعليمه:

قد ذم الله أقواماً فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وجاء عن أحد التابعين وهو الحسن البصريُّ رحمه الله أنه قال: "إنّ مَن كَان قبلكم رأوا القُرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار".

إن شأن المؤمن أن يتفاعل كيانه كله مع كلام الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر:٢٣]

وما في هذا القرآن العظيم من رسائل ربانية ـ تجيب عن أسئلة الإنسان وتهديه سبيل الرشاد. يستحق أكثر من مجرد تحريك اللسان به، بل ينبغي أن يحرك به العقل والفؤاد تحريكاً يصرف الأوهام والخرافات، ويهدم الشهوات والمصالح القاصرة، ويبني المناهج والأسس، فهو حركةٌ تبدأ في نفس القارئ المتدبر للقرآن ليصل صداها إلى العالم أجمع، ومن هنا نعرف أن أفضل الناس من يتعلم القرآن ويعلمه، كما أخبر النَّبيّ ﷺ حين قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (البخاري ٤٧٣٩) لأنه ينشر النور والهداية لتسعد به البشرية في الدنيا والآخرة ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه: ١، ٢]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩].

ثانياً: تعظيم القرآن الكريم والأدب معه:

تعظيم كلام ربِّ العالمين هو صفة عباد الله الصالحين عبر الأزمان، ومن أثر ذلك التعظيم عليهم، قول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء:١٠٧]، وهذا إنَّما يصدر ممَّن أنعم الله عليهم بأن فتح قلوبهم لمعاني ذكره، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج:٣٢]، وهي من النعم العظام التي لا يوفق إليها إلَّا من اجتباهم الله واختارهم لهدايته: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم:٥٨].

ومن الأدب مع كتاب الله تعالى أن يكون القارئ له على طهارة كاملةٍ، حسِّيَّةٍ ومعنويَّة، بأن يكون طاهر الفم والبدن والثّياب، ويكون المكان الّذي فيه القراءة والتلاوة طاهرًا ونظيفًا، وأن يكون القارئ جالساً مستقبلَ القبلة، في خشوع ووقار ما استطاع لذلك سبيلاً ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَـٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة:٧٧-٨٠].

ثالثاً: التخلق بأخلاقه والعمل بأوامره ونواهيه :

على المسلم أن يأتمر بأوامر القرآن الكريم وينتهي عن نواهيه، ويتخلق بأخلاق القرآن، يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» [صحيح مسلم]، يكون حجة عليك حين تقرؤه فلا يتجاوز آذانك، ولا ينعكس على سلوكياتك وتصرفاتك، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾ [طه: ٩٩ – ١٠١].

فاجتهد أخي المسلم في فهم رسائل الله إليك في كتابه مخلصاً نيَّتك لله عزَّ وجلَّ عند تلاوتك أو سماعك له، ومعظّماً إيّاه بكلّ ما يجب له من التعظيم والتكريم، ومتدبراً ومتفكراً في معانيه، مجتهداً في تحقيقها والعمل بها وتبليغ الناس نورها ورسائلها.

والحمد لله رب العالمين

مركز أصول
www.osoulcenter.com

إنّ مما لا شك فيه، أنّ حياة الإنسان مليئة بالتساؤلات، منذ طفولته وحتى اكتمال نضجه، ومن بين هذه التساؤلات أسئلةٌ خاصةٌ لا تكفّ عن الإلحاح بحثًا عن إجاباتها، حتى في أكثر اللحظات صفاء وسكينة.

إنها الأسئلة الوجودية التي قد يصل إلحاحها في بعض الأحيان إلى أن توقع النفس الإنسانية في الحيرة والشكوك، ولربما تحرف الإنسان في فكره وسلوكه؛ ومن هنا تفرد القرآن الكريم في قدرته على الإجابة على تلك الأسئلة.

يأتي الكتاب الذي بين أيدينا ليقرر مشروعية تلك الأسئلة، وكيف أجاب عنها القرآن، فيبين أولا كيف عرَّف القرآن بنفسه، وكيف أجاب عن الأسئلة الوجودية الكبرى، وكيف عالج السلوكيات الخاطئة بخطابه الأخلاقي، وليعرِّف بمنهجه في الرد على المخالفين، ويبين حجية القرآن الكريم كمصدر تشريعي معجز شامل صالح لكل زمان ومكان، فهو الكتاب الخالد الذي: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢].

ثم يتحدث الكتاب عن موضوعات القرآن الكريم الكبرى، ويبين كيف نفهم القرآن ونتعامل معه، لينتهي بنا إلى القول بأنه دستور حياة يدل على أنّ الله تعالى لم يخلق الإنسان في هذه الدنيا سدى.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com